محاضرات في

تاريخ العرب قبل الاسلام

وحياة الرسول الكريم

تأليف

ثابت اسماعيل الراوي   عبد الله سلوم السامرائي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

مطبعة الارشاد - بغداد
١٩٦٩

محاضرات في

تاريخ العرب قبل الاسلام

الراوي

وحياة الرسول الكريم

تأليف

ثابت اسماعيل الراوي   عبد الله سلوم السامرائي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذه المحاضرات كانت قد القيت على طلبة الصف الاول من كلية الشريعة والجامعة المستنصرية في سنين متعاقبة وقد حاولنا أن نعطي فكرة موجزة ولكنها وافية لتأريخ الشعب العربي قبل البعثة النبوية . بدأنا بالكلام عن الساميين والهجرات السامية ثم تطرقنا الى الشعب العربي وأقسامه ثم تطرقنا الى أخبار دول اليمن القديمة والظروف التي ساعدت على قيام هذه الدول وهي دولة معين وسبأ وحمير وقتبان ثم تابعنا الكلام على دول الشمال وهي دولة الانباط تدمر كنده وامارتي الغساسنة والمناذرة ثم تحولنا الى الكلام على القبائل العربية وأحوالها الاجتماعية والدينية واللغوية .

أما الحجاز ومدنه الثلاث مكة والمدينة والطائف فقد حاولنا أن نلم بتأريخها وأوضاعها الدينية والاقتصادية والاجتماعية باعتبارها موطن الرسول محمد (ص) وفي هذه البقاع دعا الرسول الكريم بدعوة الحق دعوة الاسلام .

بعد ذلك تحولنا الى الكلام عن حياة الرسول الكريم منذ ولادته وحياته في مكة ونزول الوحي ودعوة الرسول الناس الى الاسلام ثم هجرته الى يثرب والمعارك والمغازي التي قادها الرسول محمد (ص) والتي انتهت بانتصار الرسول وانتشار الدعوة الاسلامية والقضاء على الكفر والالحاد وطمس معالم الوثنية الى الابد .

وختاما نود أن نكون قد وفقنا الى اخراج هذا الكتاب بالشكل الذي يرضي القارىء والله من وراء القصد .

المؤلفان

عبدالله سلوم السامرائي

ثابت اسماعيل الراوي

محاضرات

في

تاريخ العرب قبل الاسلام

وحياة الرسول الكريم (ص)

تأليف

ثابت اسماعيل الراوي   عبدالله سلوم السامرائي

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الساميون

الساميون مجموعة من البشر كانوا يكونون شعبا واحدا وانحدروا من أصل واحد ثم تفرقوا شعوبا وأقواما في أزمنة مختلفة من التاريخ ليقيموا حضارات كان لها أثرها العظيم في تاريخ البشرية ومنها حضارة الاكديين والاموريين والآراميين والعرب وكان لهذه الحضارات أثر كبير في رقي الانسانية وتقدمها ولما كان العرب شعبا من الشعوب السامية وجب علينا أن نتعرف على :

١ ـ أصل الساميين والشعوب السامية الاخرى والصلة التي تربط بين تلك الشعوب سموا بالساميين نسبة الى جدهم سام بن نوح وقد تميز الساميون عن باقي الشعوب الاخرى فاللغات التي يتكلم بها هؤلاء الساميون تشترك في كثير من الخصائص وقواعد اللغة كما أن عاداتهم الاجتماعية وأفكارهم السياسية وأساليب حياتهم فيها كثير من التشابه منذ أقدم الازمنة وهذا مما حمل الناس على الاعتقاد بأن هذا التشابه يرجع الى تحدرهم من أصل واحد ودعوهم بالجنس السامي كما تتميز اللغات السامية بصفتها عائلة واحدة بخصائص مشتركة تميزها عن غيرها من اللغات البشرية ، أهم هذه الخصائص :

(١) اعتماد اللغات السامية على الحروف الصحيحة دون عنايتها بحروف العلة كما أنها تمتاز بكثرة التصريف وتغيير حركات الكلمات منها كذلك ترجع معظم المفردات في اللغات السامية الى أصل أو جذر

ذي ثلاثة أحرف ووتشتق اللغات السامية من هذا الاصل البسيط صيغا وصورا مختلفة •

(٢) وتتميز أيضا بأن الفعل محدود الزمن فالاصل في أزمان الحدث الماضى والحاضر كذلك ليس في اللغات السامية الا جنسان هما المذكر والمؤنث ، كما تنعدم في اللغات السامية الكلمات المركبة بأن تدمج كلمة مع أخرى ، حيث أن الكلمات السامية مؤلفة من حروف فقط كذلك اللغات السامية تتشابه بوجه العموم بالاساليب النحوية ومن ذلك تصريف الافعال وميزاتها واشتقاقها وتشابه في مفردات اللغة الاساسية هذا التشابه وهذه الصلة بين اللغات السامية حملت الباحثين على الاعتقاد بأن هذه الشعوب المختلفة من بابليين وآشوريين وكلدانيين وأموريين وآراميين وفينيقيين وعبرانيين وعرب كانوا في زمن ما قبل تباينهم يعيشون شعبا واحدا في مكان واحد وهو الشعب السامي •

موطن الساميين :

اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد موطن الساميين منهم من قال من أن موطنهم في أفريقيا الشرقية وقد قال بهذا الرأي (بارتون) بعد أن درس اللغة الحامية وقارنها بالسامية فوجدها تشترك في كثير من الكلمات والصيغ فاستنتج أن الساميين والحاميين من أصل واحد تفرعوا منه وأدعى أن أنسب منطقة ملائمة لسكنى الاصل هي شرق أفريقيا في منطقة الصومال وأرتريا ، حيث يسهل عبور الساميين والعرب من باب المندب وكذلك الانتشار في أفريقيا الا أن هذا الرأي مردود من أساسه لان هذا التشابه الموجود بين الحاميين وسكان اليمن من الساميين سواء كان في اللغة أو في سحن الوجوه قد تولد من الاختلاط والتزاوج الذي قام بين الشعب الافريقي والشعب اليماني كما أن التشابه اللغوي قد جاء من نفس هذا الطريق لذلك لا يمكن أن نعتبر شرق أفريقيا موطن الساميين ومنه تفرقوا

الى بلاد أخرى • هذا رأي ، والرأي الثاني والقائل بأن أصل الساميين من جنوب العراق فقد قال بهذا الرأي المستشرق الايطالى (جويدي) الذي قارن بين اللغات السامية المتعددة فوجد أن أغلب الكلمات التي تدل على السهول والمياه والنباتات مشتركة بين هذه اللغات فاستنتج من ذلك أن هذه اللغات كان يتكلم بها في الاصل أقوام يسكنون في مناطق سهلية غزيرة المياه والنبات وارتأى بأن العراق هو أقرب منطقة فيه هذه الظواهر •

ولذلك استنتج أن أصل الساميين من العراق متأثرا بذلك برواية العهد القديم ، أي التوراة ، لان سفينة نوح رست في شمال العراق ومن هناك انتشر الناس في بقاع الارض • ان هذا الرأي مردود أيضا لانه يفترض انتقال شعب من طور الحياة الزراعية على ضفاف الانهار الى حياة البداوة الشحيحة بموارد رزقها ومعيشتها وهذا عكس ما تقتضى به النظم الاجتماعية لانه من الطبيعي أن ينتقل الانسان من القلة الى الكثرة ومن الجدب الى الغنى لا أن ينتقل من الغنى الى الجدب • أضف الى ذلك أنه منذ أقدم الازمنة التاريخية نجد أن الاقوام السامية تهاجر من الجزيرة الى العراق والى الهلال الخصيب وليس العكس وآخر مثل لذلك هو الموجة العربية الاسلامية التي خرجت من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب •

أما الآراء الاخرى حول موطن الساميين فيرى بعض المستشرقين أن موطنهم في بادية الشام الى نجد ويرى آخرون شمال أفريقيا الا أن الرأي الغالب والمؤكد هو ما قال به المستشرق الايطالى (كايتاني) وهذا الرأي يقر أن موطن الساميين هو وسط الجزيرة العربية ويبني (كايتاني) اعتقاده هذا على أن الآثار القديمة المدروسة في الجزيرة العربية تدل على وجود آثار المياه والنباتات وقد وجد (برترام توماس) الذي اخترق الربع الخالي سنة ١٩٣١ وهو رحالة انكليزي وجد بقايا بحيرة في الربع الخالى وآثار نباتات وحيوانات في جبل (العترا) هذا الى أن وادي الرمة لا يزال مليئاً

بالصخور الرسوبية والحصى مما يدل على أنه كان في القديم مجرى نهر غزير المياه كما أن الفيلة والاسود كانت تعيش في مناطق متعددة من أرض الجزيرة وقد ورد ذكرها كثيرا في الشعر العربي وهذه الحيوانات لا تعيش الا في مناطق الغابات وهذا يدل على أن مناخ الجزيرة العربية كان في العصور القديمة كثير الامطار وافر المياه والاشجار مما ساعد على سكنى البشر . ولكن تغيير المناخ تدريجيا أدى الى نقص في السكان وأن يتحول الى حياة البداوة أو يضطر الى الهجرة بسبب تزايد في عددهم وعجز الارض التي يعيشون عليها من أن تقدم لهم موارد الرزق الكافية فاتجه صوب أطراف الجزيرة العربية والى الهلال الخصيب القريب من الجزيرة ، حيث الخصب ووفرة المياه .

خرج الساميون من الجزيرة العربية على شكل موجات في حقب متعاقبة من التاريخ بين كل موجة وأخرى (ألف سنة) على شكل تنقلات أو تقاطر بمعنى أن يأخذ بعض الافراد في الارتحال ثم يلحق بهم آخرون ثم يزداد عدد الذاهبين حتى يتكون شعور عام بفكرة الارتحال ويزداد الاقبال على الهجرة وهكذا تنتقل الافراد والجماعات تدفعهم الرغبة الى تحسين أحوالهم المعاشية التي ساءت في موطنهم الاصلي والذي لم يعد يستطيع أن يتحمل زيادة عددهم الذي أخذ يتكاثر فيضيق بهم فيضطر الافراد وتضطر الجماعات الى أن يلتمسوا لهم موطنا جديدا يجدون فيه ملتمسهم في حياة أفضل وهكذا نجد ان الجزيرة العربية التي تغير مناخها وقلت فيها موارد العيش بجانب زيادة عدد سكانها تقذف بسكانها الى أقرب المناطق المجورة لها وهي أرض الهلال الخصيب التي امتازت بخصوبتها وبوفرة مياهها وبذلك اندفع سكان الجزيرة في مناسبات كثيرة الى الهجرة كلما ضاقت بهم سبل العيش الى هذه المواطن طلبا لتحسين أحوالهم والتخلص من شظف العيش الذي يجدونه في براري الجزيرة . خرج

الساميون على شكل موجات وهذه الموجات هي هجرة الاكديين الذين استوطنوا جنوب العراق وكونوا الدولة الاكدية التي استطاع ملكها سرجون الاول توحيد العراق وتمد نفوذها الى أعالى دجلة واستطاع الاكديون أن يقتبسوا حضارة السومريين الذين سبقوهم في سكنى العراق وتولد حضارة سامية في العراق وهي أول حضارة في العراق وكان تاريخ خروج هذه الهجرة ٣٥٠٠ قبل الميلاد وفي نفس التاريخ خرج قوم آخرون سكنوا شمال العراق هم الآشوريون •

٢ ـ هجرة الاموريين الى أعالى الفرات ثم تحولهم الى أواسط العراق وتكوين دولة بابل ومنْ أشهر ملوكهم حمورابي أول مشرع في التاريخ في نفس هذا التاريخ الذي خرج فيه الفينيقيون وسكنوا سواحل سورية وكان زمن هذه الهجرة ٢٥٠٠ قبل الميلاد •

٣ ـ هجرة الاراميين الى سورية وفلسطين والعبرانيين الذين سكنوا في فلسطين والكلدانيين في جنوب العراق وزمن هذه الموجة ١٥٠٠ قبل الميلاد •

٤ ـ هجرة الانباط والتدمريين حوالى ٥٠٠ قبل الميلاد •

٥ ـ الهجرة الاسلامية في القرن السابع الميلادي الى ٦٣٢م •

مما يلاحظ على هذه الهجرات أن الساميين عندما يصلون الى أرض الهلال الخصيب يبدأون بترك حياة البداوة ويأخذون في الاستقرار تدريجيا ويختلطون مع الامم الاخرى التي كانت تقيم في هذه البلاد ، مما كان يؤدي دائما الى تصادم بين تيارين : تيار سامي غالب وتيار آخر مغلوب وينتج من هذا التصادم قيام حضارة مزدهرة وتطور اجتماعي كبير في هذه المناطق وهذا ما حدث فعلا ، فقد حدث بعد نزول الاكديين في العراق ونزول العموريين ونزول الفينيقيين في سواحل سوريا ونزول الانباط

وأخيرا نزول العرب المسلمين كما يلاحظ على هـذه الموجـات توقفها في ارتحالها عند حدود أرض الهلال الخصيب وقد شذت عن هذه القاعـدة الموجـة العربيـة الاسـلامية التي ابتعدت كثيرا فحطمت السدود وأزالت العقبات ولم يقف فيضانها على الهلال الخصيب ، بل تعداه وغمر مصـر وأفريقيا الشمالية واسبانيا وبلاد فارس وبعض أنحاء من آسيا الوسـطى رافعة راية الاسلام عالية خفاقة لتنير للملايين من أبناء البشر سبل الهداية والرشـاد .

جغرافية جزيرة العرب

ظهر لنا مما تقدم أن موطن الساميين هو جزيرة العرب منها خرجوا بموجاتهم الى الهلال الخصيب وكانت آخر هذه الموجات الموجة العربيـة الاسلامية لذا وجب علينا أن نتعرف على موقعها وطبيعة أراضيها ومناخهـا لنقف على مدى تأثير تلك البيئة على أحوال سكانها الذين عاشوا في بقاعها.

تقع جزيرة العرب في الجنوب الغربي من قارة آسيا وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من رأس الخليج العربي الى العقبـة حـوالى ٢٠٠٠كم ومن البحر العربي الى أطراف الهلال الخصيب حوالى ١٥٠٠كم وهـي هضبة مرتفعة من الغرب وتنحدر تدريجيا نحو الشرق حتى تصبح كالسهل عند سواحل الخليج العربي الا منطقة عمان فهي أرض جبلية . ومساحة الجزيرة تبلغ حوالى مليون ميل ، أما حدودها فهي في الشـرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الجنوب البحر العربي ومن الغرب البحر الاحمر ومن الشمال بادية الشام . وأغلب أراضى الجزيرة صحراء ليس بها أنهار دائمة الجريان ولكن أودية تجرى فيها المياه في أوقات معينة من السنة لذا فان الصحارى تشكل مناطق كبيرة بالنسبة لطبيعة أرضها . هذه الصحارى تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ صحراء السماوة : وهي التي تسمى الأن صحراء النفـوذ وهي في الشمال وتحتل نحو ١٤٠ ميلا من الشمال الى الجنوب و١٨٠ ميـلا من الشرق الى الغرب ورمالها غالبا وعساء ليس فيها الا قليل من آبار وعيـون والسير فيها شق • (وعسء : هي الارض التي تتكون رمالهـا من ذرات دقيقة ويصعب السير فيها وتفقد الاثر بسرعة) لكثرة الرمال التي تغطـي أراضيها فتكون كثبانا وتلالا وتنبت في هذه الصحراء النباتات الصحراوية عند نزول المطر ويقع في جنود بادية السماوة جبلا أجا وسلمى ويعرفان اليوم بجبل (شمر) وأمطاره غزيرة وأعشابه كثيرة انتشرت فيها جمـلة قرى وبلدان •

٢ ـ صحراء الدهناء : وهي أرض رملية تمتد من النفوذ شمالا الى الربع الخالى جنوبا بشكل قوس يبعد طرفاها الواحد عن الاخر أكثر من ٦٠٠ ميل وقد يميز الجانب الغربي من الدهنـاء باسم الاحقاف وقـدرت مساحتها بـ ٥٠٠٠ ميل مربع وأرضها غالبا مستوية صلبة انتشرت حصباؤها وتموجت رمالها فاذا نزل المطر في موسمه أنبتت الارض كلا فيخرج البدو بأبلهم وشائهم يقيمون ثلاثة أشهر ويغلب على هذا القسم الجدب وأشهر منطقة فيه الربع الخالى •

٣ ـ النوع الثالث من الصحراء وهي الحرات : هي التي خلفتهـا البراكين والحرات جمع حرة وهي كل أرض فيها حجارة سود ورمـل وذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان أن الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار وتكثر الحرات في بلاد العرب وتقع المدينة بين حرتين • وذكر ياقوت في معجمه نحو من ٣٩ حرة أشهرها حـرة واقم وهي التي تنسب اليها واقعة الحرة • أما الاجزاء الاخرى في الجزيرة العربية فهي :

١ ـ الحجـاز :

موقع الحجاز غرب الجزيرة وهي سلسلة جبال السراة تفصل تهاما وهي الارض المنخفضة على طول شاطىء البحر الاحمر عن نجد وهـي الارض المرتفعة نسبيا وتمتد جبال السراة من أيله (العقبة) الى اليمن في الجنوب . والحجاز قطر فقير به كثير من الاودية تمتلىء بالسيل عقـب المطر وتنحدر مياه السيول نحو البحر ومناخه شديد الحرارة الا في بعض المناطق مثل الطائف اذ يعتدل الجو وأغلب سكان الحجاز بـدو رحل . وأهمية الحجاز نشأت من وقوعه على الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببلاد الشمال ثم ازدادت أهميته بعد الاسلام لاشتماله على مكة والمدينـة موطن الدعوة الاسلامية .

٢ ـ اليمـن :

موقعها جنوب الحجاز وهي تشكل الزاوية الغربيـة الجنوبية مـن الجزيرة وقد عرفت بالخصب والغنى وأشهر مدنهـا صنعاء ، تتصل من الشرق ببلاد حضرموت والشحر وضفار ، ومناخ اليمن كثير الرطوبـة بسبب هطول الامطار بغزارة ، الناتجة من الرياح الموسمية الاتية من شرق أفريقيـا .

٣ ـ نجـد :

ويمتد بين اليمن جنوبا وبادية السماوة شمالا والعروض وأطـراق العراق شرقا سمي نجدا لارتفاع أرضه وتتميز بلاد نجد عن بقية أراضى الجزيرة باعتدال مناخها وصلاحية بعض مناطقه للزراعة .

٤ ـ عمـان :

وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة وهي قطر جبلي على شاطىء البحر وقد اشتهر سكانه قديما بالمهارة في الملاحة .

٥ ـ العروض :

ويشمل اليمامة والبحرين وسمي عروضا لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق ٠

أما مناخ الجزيرة فهو صحراوي حار جدا في الصيف وبارد في الشتاء وتسقط الثلوج على جبال اليمن كما تتجمد المياه أحيانا في الطائف وأمطار الجزيرة قليلة جدا وهي تسقط في فصول الخريف والشتاء والربيع بدفعات غير منتظمة ما عدا اليمن اذ تسقط أمطاره صيفا وقد أدى سقوط المطر بقلة الى انعدام الزراعة ولكن هذه القلة من المطر ساعدت على نمو العشب الذي ترعاه مواشى البدو ٠ أضف الى ذلك أن سبب انعدام الزراعة هو الانهر ، فلا وجود لانهار دائمة الجريان ، بل توجد وديان تجري فيها المياه في أوقات معينة من السنة وأشهر هذه الوديان (وادى الرمة) ووادي حنيفة ٠ الى جانب هذه الوديان توجد الواحات المنتشرة في بقاع مختلفة من أرض الجزيرة بالاضافة الى ذلك أن المياه الجوفية متوفرة وتكون أحيانا قريبة من سطح الارض وتسمى هذه المناطق الاحساء وهي جمع (حسي) وهو الرمل الذي تحته صلابة فاذا نزل المطر على ذلك الرمل منعته الصلابة من التسرب وقد تساعد هذه المناطق على استقرار الناس وأن ينتجوا بعض المزروعات ٠

أهم نباتات الجزيرة هو النخيل الذي يوجد منبتا في مختلف الواحات ويكثر بصورة خاصة بالمدينة وفي خيبر وفي البحرين وخاصة عند هجر في اليمامة ٠ كما تكثر زراعة الشعير في فدك ووادي القرى والمدينة وتكثر الحنطة في اليمامة والذرة في عسير والكروم في الطائف واليمن وتنبت في الطائف ، والصمغ في أودية اليمن وحضرموت بكثرة ، كما تنبت شجرة البن في اليمن وقد نقلت من الحبشة الى اليمن في القرن الرابع عشر الميلادي ٠ أما نباتات الصحراء فهي السنط والاثل والطلع الذي يستخرج

منه الصمغ العربي •

مما تقدم يظهر لنا أن طبيعة أرض الجزيرة ومناخها ساعد على ايجاد نوع من الحياة لاغلب سكانها ذلك النوع هو الحياة البدوية المتنقلة التي تعتمد على رعي الماشية والارتحال من منطقة الى أخرى وراء الكلأ ، وهذا أدى الى انعدام النظم السياسية وقيام الدولة نظرا لان الدول لا تقوم الا في الشعوب المستقرة الا ما كان في اليمن فقد أقيمت فيها دول متعددة نظرا لاستقرار الناس ولظروف اقتصادية أخرى •

العـــرب

يقسم العرب الى قسمين كبيرين : العرب البائدة والعرب الحاضرة أو الباقية • أما العرب البائدة فهم الذين بادوا ودرست آثارهم وانقطعت أخبارهم ولم يبق من ذكرهم الا ما ورد في الكتب السماوية القرآن الكريم والتوراة وبعض القصص والاساطير التي درجت في الكتب العربية القديمة ، أما لماذا سموا بالعرب البائدة ، أطلق عليهم هذا الاسم عند تدوين التاريخ في العصر العباسي لان المؤرخين العرب عندما كتبوا كتبهم التاريخية لم يجدوا أحدا ينتسب الى هذه القبائل التي ورد اسمها في القصص أو في الكتب السماوية فسميت بائدة لان أفرادها قد أبيدوا ولم يبق منهم أحد •

أشهر هذه القبائل هي قبيلة طسم وجديس وعاد وثمود وعمليق ووبار وجاسم وغيرهم من القبائل • أما العرب الباقية فيقسمون الى قسمين كبيرين أيضا :

١ ـ العرب العاربة

٢ ـ العرب المستعربة

العرب العاربة : أو المتعربة أو العرب فهم العرب الاصليون ويطلق عليهم العرب القحطانيين نسبة الى قحطان الذي ينتسب الى نوح ، ويطلق عليهم أيضا عرب الجنوب وهم عرب اليمن ، وينقسم هؤلاء الى قسمين كهلان وحمير ، ومن كهلان تفرقت القبائل ومنها قبائل الازد التي ينتسب اليها الاوس والخزرج والمناذرة والغساسنة ، فهناك قبائل أخرى يمانية مثل قضاعة وجذام وكلب وغيرها .

أما العرب المستعربة : فهم عرب الشمال أي عرب الحجاز وسموا بالعرب المستعربة لانهم أخذوا اللغة العربية واستعملوها لغتهم من العرب العاربة ويطلق عليهم أيضا النزارية أو العدنانية أو الاسماعيلية . وقد ذكر المؤرخون أن هؤلاء ينتسبون الى اسماعيل ابن ابراهيم . وفحوى رواية المؤرخين عن أصل هؤلاء العرب أن اسماعيل سكن مكة مع أمه وكانت أمه هاجر وقد أهديت الى ابراهيم من قبل ملك مصر فولدت لابراهيم اسماعيل الذي استقر في مكة وتزوج من امرأة جرهمية ، وقبيلة جرهم قبيلة عربية قحطانية هاجرت من اليمن واستقرت في مكة فولد لاسماعيل من زوجته هذه أولادا وكان اسماعيل يتكلم اللغة السريانية فتعلم هو وأولاده لغة جرهم العربية وأصبحت لغتهم وتركوا اللغة السريانية فكأنهم تعربوا باستعمالهم لغة جرهم فسموا بالعرب المستعربة وانقسمت هذه القبائل الى شعبين كبيرين مضر وربيعة ومن هذين الشعبين تفرعت القبائل والبطون ، وأشهر هذه القبائل قبيلة قريش وهوازن وغيرها من القبائل الاخرى .

اختلف عرب الجنوب عن عرب الشمال بأمور عدة منها لغوية ومنها جنسية ومنها حضارية . عرب الجنوب عرب استقرار أقاموا المدن والقرى وأنشأوا الحضارات على عكس عرب الشمال الذين تغلب عليهم البداوة والذين كانوا يسكنون في البادية ويتخذون بيوتا من الشعر أو الجلد

يضربونها حيث يطيب لهم المقام • والظاهر أن طبيعـة كل من المنطقتين كانت ذات أثر في ذلك كما أن لغة أهل الجنوب تختلف عن لغة أهـل الشمال حتى لقد كان أهل الجنوب لا يفهمون لغة نجـد وأهل الحجاز والتي انتشرت انتشارا كبيرا في صدر الاسلام بينما أصبحت لغـة الجنوب غير معروفة كذلك فان الخط المسند المستعمل عند عرب الجنوب يختلف عن الخط الشمالى على الرغم أنه مأخوذ منه ، أضف الى ذلك الاختـلاف في الناحية البشرية فأهل الشمال مستطيلو الرؤوس أشـد شبها بأجناس البحر الابيض المتوسط ، أما أهل الجنـوب فمستديرو الرؤوس يمتازون بالفك العريض والانف الاقنى كذلك فأهل الجنوب أقـرب الى اسوداد اللون وتشبه سحنهم من وجوه كثيرة سحن الافريقيين من أهل الحبشـة والصومال • أما أهل الشمال فهم سمر اللون تجد الرجل ممدود القـامة تقاطيع وجهه واضحة ، هذا عدا فروق أخرى مثل الشعر ووزن الجمجمة وغير ذلك • كما اختلف أهل الشمال عن أهل الجنوب من ناحية العبادات فأهل الجنوب يعبدون الاجرام السماوية ، أما أهل الشمال فقد عبـدوا الاصنام المنحوتة • وأخيرا أنشأ أهل الجنوب حضارة بحكم استقرارهم ، أما أهل الشمال فيرجع الفضل الى الاسلام في أنه كون منهم دولة ووحدهم لاول مرة في التاريخ •

أما لماذا سموا بالعرب وما معنى كلمة عرب فيظهر أنها تعني صحراء وأنها أطلقت على سكان الصحارى القاحلة ويفهم مما كتبـه (هيردوت) المؤرخ اليوناني القديم أنه كان يقصد بالعرب سكان المنطقة الممتدة مـن الفرات في الشرق والنيل في الغرب • ولفظة عرب في التاريخ كان يرادف لفظ بدو أو بادية وهناك رأي يقول أن كلمة عرب مشتقة من غرب وأن العرت سموا بذلك لارتحالهم من موطـن الساميين الاصلي وهو ما بين النهرين الى الغرب اذ اللغة السامية لا (غين) فيها فعرب ترادف غـرب كما أطلق أهل بابل على العرب لفظ (Taits) الذي يرجح أنهـا مشتقة

من طي سكان شمال نجد وكذلك أطلق سكان الولايات البيزنطية لفظ (ساراقينوس) على سورية والاردن وشبه جزيرة سيناء وقيل أنه حرف عن اللفظ اليوناني (Sarakins) ثم توسع المؤرخون اليونان في استعمال هذا اللفظ حتى شمل كل الشرقيين وأصبح لفظ (Saracens) المحرف عن لفظ (Sarakins) يطلق على العالم الاسلامي في العصور الوسطى ولعله مشتق من لفظ شرق العربية وان كان البعض يقرر أنه مشتق من لفظ صحراء أيضا وقد أطلق هذا اللفظ (Saracens) على القبائل العربية المجاورة لبلاد الروم لسبب تعديهم أو لغرضهم مكرس ثقيلة عليهم • أما مؤرخو العرب فيقولون في تفسير معنى كلمة عرب انها أطلقت على قوم اتسموا بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فانه مشتق من الابانة لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره اذ أبان عنه • والرأي المتداول والمتعارف عليه أن العرب سموا بهذا الاسم نسبة الى يعرب ابن قحطان جد العرب لان يعرب أول من تكلم بالعربية •

الممالك العربية في عصر ما قبل الاسلام

نشأت في عصر ما قبل الاسلام دولا عدة منها ما قام في بلاد اليمن ومنها ما قام في أطراف الهلال الخصيب ، أما في وسط الجزيرة فلم تقم به دول بالمعنى الصحيح الا ما كان من أمر دول كنده فلم تكن في الجزيرة حكومات مركزية تهمين على كافة شؤونها ، وانما اكتفت بالوحدات السياسية المستقلة التي عرفت بالقبائل وقد فرضت عليهم طبيعة الجزيرة وضعا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا معيناً حيث كانت الصحراء مجدبة قليلة الماء والنبات مما اضطر سكانها الى الارتحال من كان الى آخر وراء وسائل الحياة والماء والكلأ فان هذا الارتحال والانتقال سبب في عدم استقرارهم

وبالتالى عدم وجود حكومة تهيمن على شؤونهم وتسوسهم حسب النظام والقانون لان النظام والقانون لا يتولدان الا في ظل الاستقرار وفي أجواء المدن والقرى •

أما الدول التي قامت فيمكن تقسيمها الى قسمين :

١ ـ دول الجنوب

٢ ـ دول الشمال

أما دول الجنوب فهي الدولة المعينية ودولة قتبان والدولة السبأية والدولة الحميرية • أما دول الشمال فهي دولة المناذرة والغساسنة والانباط وتدمر وهناك دولة أخرى هي دولة كنده • أما الحجاز فقد امتاز لاشتماله على عدة مدن ذات حياة سياسية خاصة مثل مكة والمدينة والطائف •

(١) دول اليمن القديمة

١ ـ الدولة المعينية : ازدهرت في جنوب بلاد العرب منذ الالف الثاني قبل الميلاد حضارة راقية ، حيث كان المناخ ملائما كل الملائمة للزراعة والري وقد اعتمدت تلك الحضارة على التجارة أيضا فقد ساعد على ذلك موضع اليمن الجغرافي اذ أن موقع اليمن على ساحل البحر العربي والبحر الاحمر قد ساعدها على السيطرة على الطرق التجارية بين الهند والغرب فكان اليمانيون يحتكرون التجارة القديمة لمعرفتهم التامة باتجاه الرياح الموسمية وكذلك ما كنت تنتجه بلادهم من العطور والتوابل والاوفاوية والبخور التي كانت تؤلف أهم عناصر التجارة القديمة لاستعمال بعضها في المعابد والبعض الاخر في الاطعمة وما تستخدمه النساء للتطييب •

بالاضافة الى ذلك اشتهرت اليمن بالخصب ووفرة المياه التي تأتي

بها الرياح الموسمية المتجهة اليها من شرق افريقيا فقد ساعد ذلك على ان تكون اليمن بلادا زراعيا مزدهرا مما ادى الى استقرار الناس ونشوء المدن والمدينة منذ اقدم الازمنة فظهرت فيها دول اقدم ما تعرف منها هي الدولة المعينية • قامت هذه الدولة في منطقة (الجوف) في وسط اليمن شرق صنعاء فكانت عاصمتها السياسية (قرنا) او (قرناو) وتسمى الآن معين اما عاصمتها الدينية فهي (يثيل) وقد ورد ذكر معين في بعض الكتب العربية الا أن تاريخها بصورة مفصلة ودقيقة يعود الى النقوش التي كشفت حديثا بفضل المنقبين الاوربيين (هافي) و (جلازر) وعرف ايضا تاريخ هذه الدولة من اخبار التوراة واخبار مؤرخي اليونان والرومان التي دونوها في مؤلفاتهم فذكرها (استرابون) و(بطليموس) ونسبوا اليها الاشتغال بالتجارة وانها كانت حرفتهم ومصدر غذاهم • اما أصل المعينين فيرجع انهم جاؤا من جنوب العراق ويرجع تاريخ قيام هذه الدولة الى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وقد ازدهرت الدولة المعينية بين اليمن وحضرموت كما امتد نفوذها بفضل نشاطها التجاري الى الخليج العربي والى اعالي بلاد الحجاز مما يلي سواحل البحر الاحمر وكان المعينيون يحملون انواع البخور من جنوب الجزيرة العربية الى الشمال مارين بأواسط الجزيرة وتحمل تجارتهم قوافل برية كبيرة لذلك امتازت بأنها دولة تجارية ولم تكن دولة عسكرية اما ملوكهم فقد ذكرت الكشوف الحديثة أسماء ما يزيد على ستة وعشرين ملكاً من اسماء ملوكهم يثعيل صادق ـ ايلفع ربام ـ وقد انتهى حكم هذه الدولة على اثر المنافسة التي قامت بينهما وبين السبئيين وقد تعاون السبئيون والقتبائيون على تقويض هذه الدولة اما القتبانيون فيرجع تاريخهم الى سنة الف قبل الميلاد وقد سكنوا في الطرف الجنوبي الغربي من اليمن وعاصمتهم (تمنا) وموقعها قرب باب المندب ويطلق عليها الآن اسم كحلان وهي في وادي (بيحان) في منطقة عرفت قديما بخصبها وبكثرة مياهها وبساتينها وهي اقرب ما تكون الى عدن وقد قام القتبانيون بدور تجاري مهم نظرا لموقع

عاصمتهم والى ما تنتجه بلادهم من انواع البخور حتى اصبحت لهم قوة كبيرة حددت من نفوذ المعينين وكانت منافسة القتبانيين هذه سببا في سقوط دولة المعينين ولكن السبئيين هم الذين وجهوا الضربة القاضية للدولة المعينية ٠

كان نظام الحكم في مملكة المعينين ملكا مقيدا فكان الملك يدعى مزود ومعناه المقدس والملك وراثي وقد يشارك الابن اباه في الحكم ولكن يحيطه مجلس استشاري يعاونه في تدبير امور الدولة ويحدد من سلطاته وكانت المدن التابعة لدولتهم تتمتع بأستقلال ذاتي فادارتها كانت بيد رؤساء ينتخبون لمدة سنة قابلة للتجديد ويعاونهم مجلس من المشايخ ويظهر انه كان لهؤلاء المشايخ مكانة سامية ٠

كان المعينيون يتمهنون الزراعة والتجارة وفيهم عدد من القبائل البدوية اما المجتمع المعيني فهو ارستقراطي يستخدم العبيد وفيه عدد من الطبقات تتميز عن بعضها وهم متدينون يولون رجال الدين اهمية واحتراما كذلك حظيت المرأة بمكانة محترمة وحرية واسعة اما نهاية المعينين كدولة فقد انتهى بعد قيام الدولة السبئية وذلك في سنة ٦٥٠ق٠م اما نهايتهم كشعب فقد ظلوا محتفظين بنشاطهم التجاري بعد سقوط دولتهم بزمن طويل واخيرا يجدر بنا ان نشير الى أن كتابة المعينين كانت تتألف من حروف ولم تكن كالكتابات القديمة مثل البابلية أو المصرية القديمة مؤلفة من رموز أو مقاطع وكان عدد الحروف المعينية تسعة وعشرون حرفا ويظن بعض العلماء أن حروف المعينيين هذه وجدت قبل الحروف المعروفة في العالم اذ يعتقد هؤلاء العلماء انها انتقلت من اليمن الى سيناء ومن ثم الى الفينيقيين ثم الى بلاد اليونان ٠

(الدولة السبائية)

تردد ذكر السبئيين كثيرا في اخبار الدولة الآشورية وفي مؤلفات اليونان والرومان وفي العهد القديم أي التوراة كما ذكروا في مؤلفات المؤرخين العرب الذين حاولوا استقصاء اخبارهم لما ورد عن ذكرهم في القرآن الكريم وذلك عند ذكر قصة سبأ والنبي سليمان وكذلك ما ورد عن سيل العرم وقد فاقت شهرة السبئيين وطغت اخبارهم على اخبار الدولة اليمانية الاخرى حتى غدا السبأيون اكثر اهالي بلاد اليمن شهرة وحتى اطلق لفظ سبئي على جميع تجار العرب . يبدأ عصر هذه الدولة بين ٩٥٠ ق.م-١١٥ق.م وقد اتخذوا من المنطقة الواقعة بين معين وبين قتبان في الهضبة الوسطى لليمن موطنا لها ومركزا لدولتها الا ان نفوذها امتد بعد قوتها من ساحل الخليج العربي شرقا الى بحر الاحمر غربا أما أصل السبئيين فيتردد بين رأيين الرأي الاول والذي جاءت به الكتب العربية القديمة والقائل بأن عبد شمس بن يشجب مؤسس هذه الدولة وقد لقب سبأ لانه اكثر من الغزو في اقطار البلاد وسبىء خلقا كثيرا وهو اول من سن السبي في العرب والرأي الثاني وهو الرأي المعول عليه والقائل بأن السبئيين كانوا في الاصل قبائل بدوية تتجول في شمال الجزيرة العربية ثم انحدرت جنوبا متأثرة بضغط الآشوريين وضغط ظروف حياتهم الاقتصادية فأستقروا في بلاد اليمن الى جوار الدولة المعينية . كانت دولة سبأ في بداية امرها أمارة صغيرة مجاورة للدولة المعينية ثم أخذ السبئيون يغيرون على قوافل المعينين ويتوسعون على حسابهم مستغلين ضعف الدولة المعينية ذلك الضعف الذي جاء نتيجة لضغط دولة اخرى هي دولة قتبان فتعاون السبأيون مع القتبانيين على أضعاف الدولة المعينية ومن ثم على اسقاطها وبذلك سيطر السبئيون تدريجيا على الجزء الكبير من بلاد اليمن

اشتهرت سبأ بأنها كانت دولة تجارية وليس في اخبارها ما يشير الى الفتوح او الحروب وكان لها أسطول تجاري في البحر الاحمر يشحن البخور لامداد الهياكل المصرية وقد ورثت مملكة سبأ ذلك المركز التجاري عن سابقتها الدولة المعينية كما كانت لها قوافل برية تخترق صحاري وبوادي الجزيرة العربية لتنقل السلع من جنوب الجزيرة الى بلاد الشام وسواحل البحر الابيض المتوسط لتنقل من هناك الى بلاد اليونان والرومان . بدأ السبئيون حكمهم منذ ٩٥٠ق.م وقد عاصر ملوكهم الاول الملوك المتأخرين من ملوك الدولة المعينية مدة تزيد على ٣٠٠ سنة حتى كان سقوط الدولة المعينية وذلك في سنة ٦٥٠ ق.م. كان ينقسم تاريخ الدولة السبئية الى طورين الطور الاول وهو حكم الملوك الكهنة والذي يبدأ من سنة ٩٥٠ ق.م الى ٦٥٠ق.م وكان الحاكم يلقب بلقب مكرب سبأ وهي كلمة دينية ومعناها المقدس وكان المكرب يجمع مع الرئاسة الدينية الرئاسة السياسية وكانت عاصمة المكارب قصر صرواح ومكانها اليوم مدينة خريبة الحديثة الى الشرق من صنعاء وقد ذكرت النقوش ان هناك نحوا من سبعة عشر ملكا لقبوا بلقب مكرب ومن اشهرهم سمع على وابنه يدع أيل ضريح وذمار على الذي اشتهر ببناء سد مأرب .

الطور الثاني : ويبدأ من سنة ٦٥٠ق.م الى ١١٥ق.م وكان الحكام يحملون لقب ملك سبأ وكانت عاصمتهم مأرب وتبعد عن صنعاء نحو (٦٠) ميلا الى الشرق واول ملوك هذه الفترة هو (كرب أيل وتار) والذي كان اول من اتخذ لقب الملك وقد استطاع ان يقضي على الدولة المنافسة لدولة سبأ وهي دولة اوسان التي سيطرت على حضرموت وبقضائه عليها سيطر السبئيون على طريق تجارة البخور والافاوية الاتية من الجنوب كما استطاع كرب أيل وتار ان يقضي على الدولة المعينية وبذلك فقدت هذه الدولة سلطانها السياسي وكان ذلك في سنة ٦٥٠ق.م وفتح المجال امام الدولة السبئية لتسيطر على اكثر بقاع اليمن وتحتل مركزا تجاريا هاما ظل يتردد

ذكره طويلا في اخبار القدماء وبذلك تمكن كرب أيل وتار من توطيد كيان الدولة السبئية وتأمين سلامتها لاحفاده الذين ظلوا في الحكم طويلا ويعتبر هذا الدور ازهى فترات الحكم السبئي ٠ بلغت سبأ اوج قوتها وازدهارها الحضاري وفاقت شهرتها دول العالم القديم ولا ادل على ذلك التقدم الذي اظهره علماء الاثار اليوم من تلك المخلفات التي احتفظت بها خرائب اليمن لتعطينا صورة واضحة عن مدى ذلك التقدم فالهياكل واواني الذهب والفضة واعمدة الرخام واطواق القناطر المقامة على الاعمدة لتوصيل مياه الشرب الى المدن وهذه السدود والاحواض لهي أقوى دليل على ذلك التقدم اضافة الى انها تكشف عن المهارة التي بلغتها سبأ في فن العمارة بل تدلنا ايضا على معرفتهم التامة بنظام الري ولا غرو فقد حذقوا فن شق الترع واقامة الاحواض من هذه المجاري المتدفقة من الجبال للانتفاع بها في ري اراضيهم وهذا سد مأرب خير دليل على ذلك والذي يعتبر اعظم سد شيد في الجزيرة العربية ومن اعاجيب الدنيا القديمة وكان فيه كما في غيره من مباني سبأ العامة من الرقي الهندسي ما ينم عن مجتمع محب للسلام عريق في الحضارة لا في الامور التجارية فحسب بل في الاعمال الفنية الرائعة ايضا وقد اشير اليه في القرآن الكريم فقال تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتا أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) بنى هذا السد (ذمار علي) على وادي أذنه وطوله ٨٠٠ ذراع وعرضه مئة وخمسون ذراع ليجمع مياه السيول التي تتكون من الامطار الساقطة على الجبال الواقعة في اطراف صنعاء وهو مبني بالتراب والحجارة ويستند هذا السد على جبلين وعند كل من هذين الجبلين تتفرغ القنوات وتدعى ميزاب وعلى فتحة كل قناة سد آخر ذي فتحة مبني بالحجارة فالسد يحصر المياه الساقطة ويجمعها حتى تصبح كالخزان وترتفع المياه حتى تصل مستوا عاليا يقارب

مستوى الجبلين ثم تفتح فوهات القنوات فيدخل فيهـــا الماء لارواء سطح الجبلين فاذ اكتفوا سدوا هذه القنوات بأبواب من خشب أو حديد • وبناء هذا السد يكشف لنا عن المدى الذي بلغته سبأ في مضمار البناء والعمران• أما الناحية الادارية فكانت الدولة تخضع لقيادة الملك الذي يقوم باعباء الحكم والقيادة العليا للجيش في الحروب يساعده في تدبير أمور الدولـة مجلس شعبي والى جانب هؤلاء موظفون يقومون بالاعمال الادارية في المدن ويطلق على كل منهم اسم الكبير وقد نشأت بين هؤلاء الموظفين فكرة توريث مناصبهم لابناءهم من بعدهم وقد ادى هذا الى وجود طبقة اقطاعيـة سببت اضعاف الملك وكانت الادارة تعتمد على ملكية الارض وتفرض الضرائب على الارض والتجارة ويتوقف مقدارها على الوضع الاقتصادي للبلد الى جانب الضرائب الحكومية كان للكهنة ورجال الدين الحق في فرض ضرائب خاصة لهم لتلافي مصروفات المعابد والهياكل • أما سقوط دولـــة سبأ فقد اختلف المؤرخون في اسباب ذلك فمؤرخوا العرب يعزون ذلك الى انكسار سد مأرب الذي كان سبب ازدهار زراعتهم ورقي بلادهم فلما انكسر الســد خرجت القبائل الى اليمن وانتشرت في انحاء مختلفة من جزيرة العرب الا أن بعض المستشرقين الذين درسوا النقوش اليمانية واخرجوا للعالم اخبار جديدة من اخبار اليمن القديمة فيعزون أن سبب سقوط دولة سبأ يعود الى عوامل أخرى وهي :

ضعف هذه الدولة بسبب تولي ملوك ضعفاء كذلك استقلال بعض اجزاء تلك الدولة مثل أوسان وحضرموت كما تعرضت هذه الدولة لتمرد القبائل اليمانية الاخرى أضف الى ذلك العوامل الخارجية التي كانت اهم سبب في تدهور السبأيين تلك العوامل التي برزت في منافسة روما ومحاولتها كسر احتكار اليمن لتجـارة التوابل والبخور وبذلك تعرضت سبأ لهذه المنافسة وكانت في اواخر أيامها وفي حالـــة ضعف تراكمت عليها عوامل الزمن فأدى ذلك الى تحول الطرق التجارية عنهـا الى مدن اخرى على

ساحل البحر الاحمر والتي كانت تسكنها قبائل حمير فأستغل الحميريون هذا التحول وبدأوا في التطلع الى القضاء على دولة سبأ المتداعية ، هـذا ما اشار اليه الباحثون عن سبب سقوط دولة سبأ ولكن لا يمكننا ان نغفل انهيار سد مأرب فهو مظهر من مظاهر تدهور تلك الدولة وانحلالها وكان ذلك حدث عظيم بالنسبة للقبائل العربيـة التي كانت تسكن اليمن والتي هاجرت بعد ذلك التاريخ الى مناطق جديدة في الجزيرة العربية وهـذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن انهيار سد مأرب الـذي اعتبر في نظر المؤرخين العرب سببا في سقوط دولة سبأ ممزوج مع العوامل الاخرى التي ذكرت ثم نرى ان هذه الدولة التي زالت معالمها قد قامت على آثارها دولة اخرى وهي دولة حمير فلو كان الامر مرتبطا بالسد وكان انهيار السد سبب في زوال دولة لما قامت دولة اخرى ولأثر هذا الانهيار على الوضع الاقتصادي بصورة عامة في اليمن .

(دولة حمير)

لما سقطت الدولة السبئية وتلاشت مدينة مأرب صارت السلطة ببلاد اليمن متفرقة في ايدي من بقي فيها من الحكام أو الامراء الاقوياء وكان لكل قصر في اليمن حاكم مستقل يعرف بأضافة اسم قصره اليه فيقال ذو ريدان أي حاكم ريدان وذو ظفار وهكذا . وكان اصحاب القصور يتمتعون بالاستقلال في شؤونهم وقد عرف هؤلاء بلفظ الاذواء ادى هذا الانقسام في بلاد اليمن بين الامراء الى ظهور التنافس بينهم فكـان القوي يتغلب على الاراضي المجاورة له ويضم اليه المزارع والقرى وقـد استطاع صاحب ريدان أن يتغلب على جملة المخاليف (المخلاف) (وهي منطقة اداريـة تشمل جملة قرى واراضي) ويضم اليه اراضي واسـعة وامراء عديدون وانشأ بذلك مملكة حمير سنة ١١٥ق.م وكان اول ملوكهم شمر يرعش

ساعد الحميريين على انشـــاء دولتهم ليس ضعف الامراء أو المخاليف أو الذين كانوا في بلاد اليمن بل ساعدت ظروف سياسية اخرى منها ضعف دولة البطالسه التي كانت تحكم في مصر والتي تعرضت لضغط روماني ٠

تقع مملكة حمير بين سبأ والبحر الاحمر ٠ وتســتغل اراضي التي يطلق عليها اسم قتبان وقد حلت اول الامر محل قتبان ثم استوعبت مملكة سبأ وريدان وظهرت مملكة حمير سنة ١١٥ق٠م فاتخذ الحميريون مدينة ريدان مقرا لحكمهم ودام حكم الحميريين حوالي ٦٤٠ سنة وقـد ورث الحميريون المعينيين والسبئيين في الثقافة والتجارة وكانت لغتهم هي نفس لغة المعينيين والسبئيين من قبلهم ٠

يقسم المؤرخون حكم الحميريون الى عهدين معتمدين في ذلك على اختلاف القاب الملوك الواردة في النقوش ٠

١ ـ دولة حمير الاولى سنة ١١٥ق٠م الى ٣٠٠م ٠

٢ ـ دولة حمير الثانية من ٣٠٠م الى ٥٢٥م وكـــان لقب الملوك في الدور الاول ملك سبأ وريدان وحضرموت ويطلق عليهم اسـم التابعـه ومفردها تبعً وقد اختلف ملوك حمير عن ملوك سـبأ ومعين بأنهم اهتموا بالحروب والفتوح اكثر من اهتمامهم بالزراعة والتجارة ٠

ان الوصول الى اخبار ملوك حمير يكتنفه بعض الغموض والاضطراب ويرجع ذلك الى تشابه اسماءهم وزيادة عددهم وادخـــال بعض مؤرخي العرب في عداد هؤلاء الملوك اقيالاً (امراء) وقوادا أشتهروا بفتوحاتهم أو اعمالهم الاخرى ٠

من أشهر ملوك حمير شمر يرعش وقد ذكر في الروايات العربيـة القديمة انه وطأ ارض العراق وفارس وخراسان وفتح مـدائنها وخرب مدينة الصفد وراء نهر جيحون ثم بنى مدينـة هناك عرفت بأسمه وتعرف

الآن بسمرقند ومن ملوك حمير الآخرين أسعد أبو كرب وقد زعمت الروايات العربية انه غزا اذربيجان وهزم ملك الفرس كما هزم ملك سمرقند وقتله وعاشت جيوشه في بلاد السند ورجعت محملة بالغنائم والاسلاب وحاصرت جيوشه روما وادت له القسطنطينية الجزية وتضيف هذه الروايات انه هذا الملك غزا يثرب وكسا الكعبة وانه اول من تهود من العرب .

آخر ملوك الحميرين هو يوسف ذو نؤاس ويلقب فنحاص وقد اشتهر ذو نؤاس بأضطهاد المسيحيين بسبب تحمسه لديانته الجديدة اليهودية واعتقادا منه ان هؤلاء المسيحيين ما هم الا جواسيس الامبراطور البيزنطي المسيحي فأراد ان يقضي عليهم حتى لا يكونوا جواسيس لذلك الملك فطلب اليهم تغيير دينهم فرفضوا فأعلن انه سوف يحرقهم بالنار ان لم يستجيبوا لطلبه وفعلا حفر اخاديدا في الارض وملئها نارا ورمى بها هؤلاء المسيحيين وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحادثة فقال تعالى (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يأمنوا بالله العزيز الحميد) وقد اثرت هذه الحادثة في نفوس المسيحيين وخاصة الامبراطور البيزنطي الذي صمم على الانتقام من نؤاس ولما لم يكن بأستطاعته مهاجمة اليمن اوعز الى حليفه النصراني النجاشي ملك الحبشة وكانت غاية الامبراطور البيزنطي في الظاهر الانتقام للمسيحيين ولكنه كان يرمي من ناحية اخرى الى القضاء على اليمن التي كانت تنافسه في السيطرة على تجارة البحر الاحمر .

استجاب النجاشي ملك الحبشة لطلب الامبراطور البيزنطي فجهز جيشا عهد بقيادته الى شخص اسمه ارياط وقد استطاع هذا الجيش ان يحتل اليمن ويقضي على ذو نؤاس فتخضع اليمن لاحتلال الحبشي . عامل

الاحباش أهل اليمن معاملة حسنة واستعملوا في الادارة الموظفين المحليين الا أن خلافا وقع بين ارياط وبين احد قواده المسمى ابرهة وكادت الحرب تقع بين اعوان ارياط واعوان ابرهة الا ان ابرهة اقترح على ارياط أن يتبارزا دون ان يشترك الجيش فجرت مبارزة بين شخصي ارياط وابرهة فقط وكان ابرهة قصيرا جسميا أما ارياط فكان طويلا وسيما وفي بداية المبارزة ضرب ارياط بسيفه رأس ابرهة فشق حاجبه وانفه وشفته ولكنه لم يمت فسمي بذلك ابرهة الأشرم وبعد ان سقط ابرهة هجم احد جنوده وطعن ارياط من الخلف فمات ارياط وبذلك اصبح ابرهة هو القـائد للجيش الحبشي في اليمن .

قام ابرهة بأصلاحات جمةمنها اصلاحهسد مأرب الا ان هذا الاصلاح لم يدم طويلا حيث تهدم ذلك السد بعد سنة من اصلاحه فصرف النظر عنه ثم اخذ ابرهة في بناء كنيسة وقد سمي تلك الكنيسة بأسم القليس وكان يرمي من وراء ذلك جلب انظار العرب الى هذه الكنيسة وان يتحولوا عن الكعبة ليسيطر بذلك على احوال العرب فتكون اليمن زعيمة البلاد العربية بدلا من الحجاز ومكة الا أن العرب لم يستجيبوا لهذه الرغبة ويقال أن عربيا جاء الى هذه الكنيسة فوضع فيها القاذورات فغضب بذلك ابرهة وصمم على هدم الكعبة لانها كانت هي العقبة الكأداء في وجه زعامته واليمن في البلاد العربية فجهز حملة قادها بنفسه وتوجه الى مكة يريد فتحها وتهديم الكعبة وسميت هذه الحملة بعام الفيل وقد وصل ابرهة الى مشارف مكة الا انه لم يستطع دخولها وقضي على ذلك الجيش بمعجزة ربانية اذ أرسل الله طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. ويذهب بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ان مرض الجدري قد انتشر بين الجنود ولم يكن يعرف قبلا فقضي على عدد كبير من رجال الحملة . أما المفسرون الآخرون ففسروا هذه الآية بأن الله ارسـل طيورا صغيرة تحمل في مناقيرها حجارة صغيرة ترمي بها الرجل فيهلك بسـاعته وبذلك

فشل ابرهة في احتلال مكة وتهديم الكعبة وقد عاد ابرهة الى اليمن وتوفي بعد قليل وخلفه بالحكم ابنه يكسوم ثم مسروق .

ثم قامت ثورة تحررية تزعمها سيف بن ذى يزن وقد حاول هذا الزعيم أن يحصل على مساعدة احدى الدولتين الكبيرتين الموجودتين آنذاك وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية ورأى ان يتجه الى الامبراطورية الفارسية لان الامبراطورية البيزنطية لا يعقل ان تساعده وهي التي حرضت الاحباش على غزو اليمن فسافر الى كسرى وتوسط له أمير الحيرة وعندما قابل كسرى وطلب منه المساعدة لتحرير اليمن من الاحباش رفض كسرى ان يساعده بحجة ان بلاد اليمن بعيدة عن بلاده وصرف كسرى سيف بن ذى يزن بعد أن اعطاه مالا كهدية فغضب سيف بن ذى يزن ووزع المال على حراس القصر فلما سمع كسرى بهذا التصرف غضب واعتبره اهانة له فأستدعى سيف بن ذى يزن وسأله عن تصرفه هذا فأجابه سيف بن ذى يزن بأنني لم آأتي للمال لان المال كثير في بلدي وقد تركتها وجبالها من فضة وذهب وانما اتيت اطلب المساعدة لتحرير وطني من الاحباش ، عند ذلك استجاب كسرى لطلب سيف بعد أن استمع الى مشورة بعض وزراءه وقد اشاروا عليه ان يرسل عددا من المساجين فأن نجوا كان نصرا للملك وان قتلوا تخلص منهم الملك ،فأرسل كسرى عددا من المساجين وقد بلغ ذلك العدد ثمنمائة يقودهم قائد فارسي اسمه (وهرز) وحملوا على ثماني سفن غرقت منها اثنتان ووصل الباقي الى اليمن وبعد نزوله الى أرض اليمن التف حولهم مناصرو سيف بن ذي يزن ثم هاجموا الجيش الحبشي وانتصروا عليه فأصبح سيف بن ذى يزن اميرا لبلاد اليمن وقد قتل عددا كبيرا من الاحباش الا انه ابقى عدد منهم في خدمته وقد وثبوا عليه وقتلوه في اثناء خروجه الى الصيد عند ذلك اضطر وهرز الى العودة ثانية الى اليمن فقتل كل حبشي وجعل اليمن تابعة للحكم الفارسي مباشرة فخضعت اليمن لذلك الحكم حتى ظهور الاسلام فكان آخر حاكم

فارسي لليمن هو باذان الذي استجاب لدعوة الرسول فأسلم ودخلت اليمن في الدين الاسلامي واصبحت جزءا مهما من الامة الاسلامية العربية وقد شارك اليمانيون في اعمال الفتوح العربية الاولى ونزحوا من بلادهم الى المناطق التي فتحوها خارج الجزيرة العربية كما شاركوا في كل ما يتصل بأمور الحرب والسياسة في مختلف ادوار الحكم الاسلامي .

(دولة الانباط)

نشأت في العصور الجاهلية بضع دويلات ازدهرت في شمال الجزيرة العربية واواسطها وكان عمران هذه الدويلات الشمالية كعمران دول الجنوب اليمانية يعتمد على التجارة فلم تكن بحال من الاحوال دولا حربية لا في نشأتها ولا في تدرجها وارتقاءها وكانت اقدم هذه الدويلات دولة الانباط ودولة تدمر فقد ازدهرت التجارة بين الشرق والغرب بعد الرقي الذي اصاب بلاد اليونان والرومان فزاد الطلب على بضائع بلاد الهندوجنوب البلاد العربية كما ان الهلال الخصيب الذي توفرت فيه اسباب الخصب والنماء كان بحاجة الى استيراد بعض البضائع من الهند وشرق افريقيا وجنوب البلاد العربية كالبخور والعطور والبهارات والعاج والمصنوعات الحريرية وكان يصدر بدوره بعض الفائض من منتوجاته وخاصة المنسوجات والمصنوعات الزجاجية وكان لهذا الازدهار الذي طرأ على التجارة بين الشرق والغرب ان صار الهلال الخصيب مركزا لتجارة المرور (الترانسيت) الى بلاد البحر المتوسط فنشأت لذلك مراكز تجارية او محطات للقوافل التجارية لتزودها بالماء وتقوم على حراستها تلك القوافل التي كانت محملة بانواع التجارات والقادمة من الخليج العربي والمتجهة عبر العراق وبادية الشام او قادمة من جنوب الجزيرة العربية اذ تسير محاذية لسواحل البحر الاحمر ومتجهة شمالا الى البحر الابيض المتوسط

كل ذلك ادى الى ظهور دولتين هما دولة الانباط ودولة تدمر .

كان الانباط في مطلع القرن السادس ق.م قبائل بدوية هاجرت من وسط الجزيرة العربيةمن شبه جزيرة سيناء وقد اضافوا الىنفوذهم المنطقة التي تفصل ما بين بلاد الشام وبلاد العرب وتمتد من نهر الفرات الى البحر الاحمر وكان الاقدمون من اليونان والرومان يطلقون على بلاد الانباط اسم بلاد العرب الصخرية وقد اخذ الانباط من الادوميين مدينة البتراء وهي تقع الى الشرق من وادي عربة في منتصف المسافة تقريبا ما بين رأس خليج العقبة والبحر الميت وكانت تهيمن على طرق القوافل الممتدة منها الى غزة في الغرب والى بصرى ودمشق في الشمال والى ايله (العقبة) في الجنوب وعبر الصحراء الى الخليج العربي في الشرق . والبتراء كلمة يونانية معناها صخر وهي ترجمة للكلمة العبرية سلع ويقابلها في العربية الرقيم كما لها اسم آخر هو وادي موسى وهي محصنة من جهات ثلاث ولا يمكن الدخول اليها الا من الجهة الشمالية بطريق ضيق تحيط بها الصخور العالية بالاضافة الى ان هذه المدينة تعتبر البقعة الوحيدة بين نهر الاردن واواسط بلاد العرب التي كان يوجد فيها الماء الصافي بكثرة كل هذه الاسباب موقعها وحصانته ووفرة المياه الصافية أدت الى ازدهار البتراء مدة اربعمئة سنة واستطاعت ان تشغل مركزا اخطر على طريق القوافل الذي يقطع الصحراء واصلا بين سبأ في الجنوب وبين موانيء البحر المتوسط في الشمال . أما تاريخ الانباط كشعب له شأنه فيبدأ من سنة ٣١٢ ق.م وهي السنة التي استطاع فيها الانباط ان يصدوا حملتين وجهت اليهم من قبل القائد اليوناني انتيوجونوس الاول الذي كان حاكما لبلاد سوريا وقد خلف الاسكندر الاكبر في حكم هذه المناطق وان يعودوا منتصرين الى عاصمتهم الصخرة (البتراء) ومنذ ذلك الحين بدأوا في التوسع مستغلين ضعف دولة السلوقيين وكان من مشاهير ملوكهم الحارث الذي احتل دمشق سنة ٨٥ ق.م ومن ملوكهم ايضا مالك الاول الذي اتصل بيوليوس

قيصر حاكم روما وكان ذلك أول اتصال بالرومان كما اشتهر عبيد الثاني الذي اشترك وزيره في حملة رومانية لغزو بلاد العرب الجنوبية (اليمن) سنة ٢٤ ق٠م وقد وصلت دولة الانباط الى اقصى نفوذها في عهد الحارث الرابع سنة ٩ ق٠م الى سنة ٤٠ م فوصل نفوذها الى الشمال حتى مشارف دمشق والى الجنوب حتى مدائن صالح (الحجر) في شمال الحجاز بما في ذلك سواحل البحر الاحمر المجاورة لهذه المنطقة ٠

تأثرت البتراء بالثقافة الرومانية فقد عمل الرومان من جانبهم ان يستحوذوا تدريجيا على هذه المدينة ليستولوا بذلك على الطرق التجارية واخيرا اندفع الرومان الى الاستيلاء عليها بصورة كاملة فقضي الامبراطور الروماني اتراجان على آخر حاكم مستقل لها والمدعو ربيل الثاني ففقدت دولة الانباط استقلالها واصبحت مقاطعة من مقاطعات الدولة الرومانية وقد فقدت البتراء اهميتها التجارية تدريجيا نتيجة لضغط الساسانيين من جهة وغارات البدو من جهة اخرى وظهور مدينة تدمر التي اخذت تجتذب اليها التجارة العربية فأدى ذلك الى تدهورها وزوال اهميتها ٠

كان الانباط عربا تدل على ذلك اسماء بعض ملوكهم التي ذكرناها الا انهم تأثروا بالآراميين فأستعملوا اللغة الآرامية في كتاباتهم كما استعملوا اللغة العربية في تخاطبهم شأنهم في ذلك شأن الامارات العربية الاخرى التي عاشت في تلك المنطقة ٠

استمد الانباط خطهم في الكتابة من الخط الآرامي في القرن الثالث الميلادي تحول هذا الخط الى الخط المستدير المعروف بالنسخ وهذا الخط هو اساس الخط العربي الذي نستعمله الآن ٠

تركت البتراء آثارا كثيرة وتعتبر منطقتها الآن من اشهر المناطق الاثرية التي يأتي اليها السواح من مختلف انحاء العالم لذلك تعتبر موردا هاما من موارد الدخل لحكومة شرق الاردن ومن آثارها الموجودة الآن

آثار ابروج صخرية وخزنة فرعون المنحوتة من الصخر ومعبد صخري كان مؤوى لاصنامهم ، أما نهاية شلعب الانباط فقد اعتنق الديانة المسيحية • وظل يدين بهذه الديانة حتى جاء الفتح الاسلامي العربي فأعتنق الانباط الديانة الاسلامية فأصبحوا جزءا من المجتمع العربي المسلم •

(دولـة تدمر)

نشأت تدمر في بادية الشام حول منبع مـاء يقع في منتصف المسـافة تقريبا بين الفرات من جهة وبين دمشق وحمص من جهة اخرى وهو يبعد حوالي ١٥٠ ميلا عن كل منهما وقد اصبحت محطة للقوافل السائرة بين العراق والشام ، أما اصل تدمر فقد اختلف المؤرخون في عوامل تسمية هذه المملكة بأسم تدمر • يقول الهمداني في كتابه الاكليل انما سميت تدمر بتدمر بنت حسان أبن اذينه وقيل أن تدمر تخفيف تدمرتا الآرامية ومعنى هذه الكلمة الاعجوبة والمعجزة لانها كانت اعجونه مدن الارض كلها أمـا من بنى هذه المدينة فتدعي التوراة ان النبي سليمان قد بناها ويعتقد بعض العرب ان الجن والشياطين هي التي بنت تدمر ولكن الحقيقة عن بناء تدمر غير معروفة بالضبط والسبب الى ان اخبار هذه المدينة واخبار بنـاؤها لم تدون بصورة مكتوبة ولم يذكر عن بناؤها شيء كان لنشوء هذه المدينة في حوالي القرن السادس ق•م وبعد سقوط الامبراطورية البابلية حيث اخذت بعض القبائل العربية تسكن في شرق اقليم كنعان (فلسطين) وبدأت تتعلم الكلام والكتابة باللغة الآرامية (السريانية) التي كانت شائعة في المنطقـة الواقعة الى الغرب من نهر الفرات • ورد ذكر هذه المدينة لاول مرة في نقوش تجلات للاسر الآشوري سنة ١١١٥ ق•م كمـا ورد ذكرها مـرة اخرى في اخبار الدولة الكلدانية عندما ساعدوا بختنصر في هجومـه على القدس وامدوه بثمنمئة من رماة النبل • اما اول ذكر للمدينة في المراجع

الرومانية فكان عندما حاول مارك انطونيو في سنة ٤٢ ق٠م محاولة فاشلة للاستيلاء على مغانمها واقدم نقش في المدينة يرجع الى تسعة قبل الميلاداهو مكتوب بالخط الآرامي وكان ذلك في الوقت الذي اصبحت فيه مدينة تدمر مركزا هاما للتجارة بين الدولتين الرومانية والفارسية وسرعان ما ارتقت هذه الواحة من محطة للقوافل الى مدينة من الطبقة الاولى كما اصبحت من الناحية الدينية مركزا للعبادة وكان فيها آلهة الشمس وهو اكبر المعبودات ومعه عددا آخر من الآلهة الصغرى ٠

كانت تدمر أسعد حظاً من دولة الانباط اذ كانت السيادة فيها للعرب على الرغم من ان الآراميين المتأثرين بالحضارة الاغريقية كانوا يؤلفون غالبية سكانها ٠

برزت تدمر خلال الحروب الفارسية في القرن الثالث الميلادي واصبحت سيدة الصحراء لفترة قصيرة فقد كان الشرق في ذلك الوقت يضطرب بالصراع بين الامبراطوريتين الفارسية والرومانية وكان على اهل تدمر ان يختاروا الانضمام الى احدى الدولتين ففضلوا ان ينضموا الى روما ذلك لان الامبراطور الروماني كان يسبب بعد روما اقل خطرا عليهم من الامبراطورية الفارسية القريبة منهم وقد ظهر في هذا الوقت زعيم لتدمر اسمه اذينه ابن السميدع الذي ساعد تاليران الروماني في اثناء حربه مع كسرى سابور الاول واستطاع ان يطرد هذا الملك الفارسي من سوريا ويقتفي اثره حتى ابواب المدائن عاصمة الفرس وذلك سنة ٢٦٥ م فانعم عليه الامبراطور جاليانوس بلقب اغسطس واعترف به اميرا على الشرق٠

استطاعت تدمر ان تسيطر على شؤون التجارة كما سيطر عليها من قبل الانباط وعززت مركزها الاقتصادي وتدل الآثار التي خلفتها على الدور الهام الذي قامت به خلال ذلك العصر وتشير الى عظيم اهتمامها بمرافق الحياة الاقتصادية حتى عدها بعض المؤرخين مستودعا كبيرا لتجارة

الشرق وكان امراء آل اذينه معاصرين لامراء الحيرة الاولين من مشاهير ملوكهم اذينه الذي لم يدم حكمه طويلا فاغتيل وتولت العرش بعده زوجته زنوبيه وبقيت على عرش تدمر من ٢٦٧ الى ٢٧٣م وكانت سياستها هي سياسة الحياد بين الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية بينما كانت تسعى الى تشييد امبراطورية عربية شرقية وكان ذلك سبب هجوم الامبراطور اورليانوس على تدمر وتخريبها وان يقتاد ملكتها اسيرة في شوارع روما وهي مكبلة بالاصفاد وكانت هذه سنة ٢٧٤م وبذلك انتهى امر هذه الدولة نهائيا .

(دولة كندة)

نشأت في العصر الجاهلي دولة عربية في وسط الجزيرة العربية اطلق عليها اسم دولة كندة وقد بسطت نفوذها على عدد من القبائل العربية بوسائل مختلفة منها المحالفة او المصاهرة او استعمال القوة وهي تختلف عن باقي الدول العربية بأنها كانت عبارة عن اتحاد او تحالف جمع عدة قبائل غايتها من هذا التحالف نشر الامن والاستقرار بين هذه القبائل المتخاصمة ولم تكن لها عاصمة معينة . قامت هذه الدولة بعون أو بمساعدة تبابعه اليمن المتأخرين وكانت تابعة لهم وقد اشتهر أمر ملوك كندة بين القبائل العربية حتى ان هؤلاء العرب قد اطلقوا لفظ الملك على رؤساء كنده ولم يكونوا قد اطلقوا هذا اللفظ على أي رئيس عربي آخر مما يدلنا على شهرة هؤلاء وقوتهم ونفوذهم الذي بسط اروقته على وسط الجزيرة العربية .

قامت هذه الدولة في منتصف القرن الخامس الميلادي واستمرت قائمة اكثر من قرن من الزمن وكان نفوذها مبسوطا على نجد حتى تخوم الحجاز والى اطراف الشام والعراق من ناحية الشمال وكان لها بعض

النفوذ على قبائل عمان في الجنوب اما اصل الكنديين فهم من اليمن تفرقوا فترة الى حضرموت واستقروا في موقع لهم يعرف بكنده ويقـــال ان اسم هذا المحل هو كنده قد اطلق على هذه القبيلة التي جاءت من اليمن فسميت بكنده وكان خروج هذه القبيلة من حضرموت قد جاء نتيجـة لنزاع وقع بينها وبين سكان حضرموت وكانت هذه الحرب قاسيـــة على كنده حتى كادت ان تهلك فاضطرت الى الخروج من موطنها والاتجاه شمالا وتصادف في ذلك الوقت ان نزاع قد نشب في قبيلـــة بكر التي تسكن شمال نجد فغلب السفهاء بها على العقلاء واكل القوي الضعيف فلجأ زعماء هذه القبيلة اي قبيلة بكر الى ملك اليمن وكان اسمه حسان فطلبوا اليه ان يؤمر عليهم ملكا فأختار لهم حجر بن عمرو زعيم الكنديين وكان اخوه من الرضاعـة وكانت له صفات اهلته للزعامة وهذه الصفات هي ، كـــان ذا رأي ثاقب وذكاء وسياسة بالاضافة الى وجاهته ووسامته وهو اول ملوك كنده في رأي اكثر المؤرخين . حكم حجر بن عمرو هذا سنة ٤٨٠م وكان يلقب بآكل المرارة لانه بلغه امر اغضبه فاستشاط غضبا وجعل يأكل المرار (والمرار نبات شديد المرارة) عمل حجر هذا على توطين نفوذه على نجد بأن اخذها من المناذرة وعزز مركزه بأن تزوج من هند بنت ظالم ومن امرأة اخرى من حمير وبثالثة من بني شيبان وبذلك استعان بهذه المصاهرة التي ارتبط بها فأستغلها في فتوحاته التي قام بها من مركز غمر كنده ضـــد القبائل الساكنة في الحجاز وشمال الجزيرة العربيـــة والبحرين بل وصل في فتوحاته حدود دولة المناذرة منتزعا منها بعض اراضيها ، وبعد موت حجر ولي ابنه عمرو بن حجر ولم يقم هذا باعمال هامة ولذلك فأنه لم يضف اراضي جديدة او قبائل اخرى الى دولته وحلفه لذلك سمي بالمقصور اي الذي اقتصر على حلفه ودولته التي ورثها عن ابيه . تولى بعده ابنه الحارث بن عمرو الذي اصبح من اشد ملوك كنده فقد اشتهر عنه لانه كان شجاعا وقائدا مقداما وقد عاصر كلا من قباذ ملك الفرس وابنه انو شروان ملك

الفرس والامبراطور جستنيان امبراطور الدولة البيزنطية والمنذر الثالث ابن ماء السماء ملك الحيرة وفي ايامه خضعت اليمن لحكم الاحباش الذين اسقطوا دولة التبابعة وهي الدولة الحميرية التي كانت تحكم بلاد اليمن والتي كانت ركيزة وسندا لدولة كنده اذ ان هذه الدولة اي دولة كنده قامت بمساعدة الدولة الحميرية وكانت حليفتها فسقوط دولة الحميريين يستتبع ضعف دولة كندة ولما لم يكن باستطاعة ملك كندة ان يقوم بأمور الدولة دون مساعدة من دولة كبرى لذلك أخذ الحارث يبحث عن حليف جديد يقوى به مركزه وقد واتته الفرصة للتقرب من الفرس وكانت رغبته تتجه الى هذه الدولة منذ سنين عديدة اما كيف توصلت الى محالفة الفرس فأن ذلك يعود الى خروج المنذر الثالث ابن ماء السماء من الحيرة وتركه العرش الحيري بسبب الضغط الذي وجهه اليه ملك الفرس قياذ وكانت غاية قياذ من هذا الضغط هو اجبار ملك المناذرة الى اعتناق الديانة المزدكية الاباحية الشيوعية الا ان المنذر الثالث رفض الانصياع لطلب كسرى ولكنه اضطر الى ترك الحيرة عند ذلك وجد الحارث فرصته لدخول الحيرة وعقد تحالف مع ملك الفرس وقد دخل الحارث الحيرة فعلا ولكنه لم يتخذها مركزا لحكمه بل تحول الى الانبار بسبب كراهية اهل الحيرة له الا ان هذا التقارب بين الحارث ملك كندة والدولة الفارسية لم يدم طويلا وقد انتهى بوفاة ملك الفرس قياذ وتولي العرش انوشروان ، وقد قضى هذا الملك الجديد على الديانة المزدكية وقتل مزدك وطارد اتباعه واعاد الديانة الزرادتشتية وعندها اضطر الحارث الى الخروج من بلاد الحيرة هاربا بعد ان دخلها المنذر الثالث أميرها الشرعي وقد حاول المنذر الانتقام من خصمه فارسل قوة لحقت بالحارث وقد استطاعت هذه القوة ان تلقي القبض على أكثر من خمسين رجلا من عائلة الحارث وقد استطاع الحارث نفسه ان يفر اما مصير هؤلاء الخمسين فقد أمر المنذر بقتلهم جميعا والى هذه الحادثة يشير امرىء القيس فيقول :

ملوك بني حجر بن عمرو يساقون العشيه يقتلونا
فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

وديار بني مرينا هي التي القي القبض فيها على هؤلاء وقتلوا هناك اما مصير الحارث الهارب فقد أرسل اليه المنذر من يقتله وقد خلف الحارث في حكم دولة كندة اولاده الاربعة وكان اعظمهم واكبرهم سنا حجر بن الحارث والد الشاعر المشهور امرؤ القيس وكان هؤلاء الابناء الاربعة قد وزعهم أبوهم الحارث في ايام قوته وعلو شأنه على القبائل العربية التي اخضعها لسلطانه وكان من نصيب حجر بن الحارث قبيلة بني أسد وكان حجر هذا شديداً في حكمه قاسيا في اخضاعه لبني أسد وقد ثار عليه بنوا اسد وقتلوه كما ثارت القبائل الاخرى على اخوة حجر هذا فمنهم من قتل ومنهم من هرب وكانت هذه الثورات بتحريض من المنذر ملك الحيرة الذي أخذ على نفسه ان يتابع هذه الدولة ويقضي عليها وذلك لسببين الاول ـ هو الانتقام من خصمه الحارث الذي نافسه بالتقرب من الدولة الفارسية . والثاني ـ هو المنافسة بين المناذرة وكندة على زعامة القبائل العربية اذ كان أمير الحيرة يرى في وجود دولة كندة عائقا خطيرا امام زعامته للقبائل العربية في انحاء الجزيرة العربية ولذلك نرى ان المنذر يجهد نفسه في الاجهاز على هذه الدولة التي حاولت محاولة اولى لقيام وحدة عربية تجمع شمل القبائل العربية المتخاصمة المتنازعة ولكن هذه المحاولة فشلت لاسباب عدة منها التدخل الاجنبي عن طريق أمير الحيرة وثانيا لنفور القبائل العربية من الخضوع لدولة تفرض سلطانها عليها اذ ان هذه القبائل لم تتعود الخضوع والاندماج لسلطة خارجة عن حدود القبيلة . آخر امراء هذه الدولة هو الشاعر المشهور امرؤ القيس الذي أخذ بوصية ابيه حجر فقام وشمر عن ساعديه وترك حياة المجون واللهو التي كان يحياها وصمم على الاخذ بثأر ابيه من بني اسد فاخذ يتجول بين القبائل العربية يدعوهم الى نصرته وقد نجح في جمع بعض القبائل الذين

عاونوه في الاقتصاص من بني اسد ولكنه لم يكتف بهذا العقاب الذي انزله في بني اسد وانما كان يرمي الى ارجاع دولة كندة ولكنه لم يجد من يستجيب لندائه من بين هذه القبائل التي كرهت وجود دولة تتحكم في مصير هذه القبائل تلك القبائل التي تعودت على حياة مستقلة بعيدة عن الارتباط بالقبائل الاخرى أو الخضوع لانظمة جديدة مغايرة لتقاليدها وعاداتها الخاصة عند ذلك أضطر امرؤ القيس أن يبحث عن حليف جديد يعاونه في ارجاع دولته ورأى انه مضطر الى الاستعانة بدولة كبرى وكانت الدول الكبرى الموجودة في ذلك الحين هي الدولة الفارسية والبيزنطية ولما كانت الدولة الفارسية حليفة لعدوه ملك المناذرة فليس من المعقول ان تقدم العون له اذن فعليه ان يتجه الى الدولة الاخرى وهي الدولة البيزنطية وفعلا سافر الى القسطنطينية وقابل الامبراطور وطلب منه ان يساعده في تحقيق امله وكاد الامبراطور ان يقدم له العون ولكن انصار بني أسد الموجودين في القسطنطينية عملوا جهدهم على احباط هذه النية التي كان ينوى اليها الامبراطور البيزنطي فعدل الامبراطور عن تقديم المساعدة الى امرىء القيس ولما رجع امرؤ القيس الى بلاده اهداه الامبراطور حلّة مسمومة أثرت عليه فتقرح جلده ومات في طريق عودته عند جبل عسيب قرب مدينة أنقرة ودفن هناك وبذلك انتهى أمر دولة كندة نهائيا .

لم تقم هذه الدولة بأي عمل ثقافي أو حضاري ولكنها اهتمت من ناحية اخرى بالشعراء فنبغ عدد كبير من الشعراء وعلى رأسهم امرؤ القيس الذي يعتبر من أعظم شعراء العربية لما ادخله في الشعر العربي من فنون وابواب جديدة ولا ريب ان ظهوره في كندة يدل على أن الحركة الادبية ونظم الشعر كان راقيا فيها كما أن ملوك كندة كانوا يستقبلون الشعراء الذين ازدادوا في وسط الجزيرة العربية أو الذين عاشوا في مناطق كانت تخضع لملوك كندة هذا أمرها في العصر الجاهلي اما في العصر الاسلامي فقد نبغ عدد من ابناء كندة منهم الاشعث بن قيس الذي اشتهر في فتوح

الشام والعراق واشتهر ابنه محمد بن الاشعث كقائد قدم خدمات للامويين كما أشتهر عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث كقائد في الجيش الاموي وزعيم ثورة عراقية كبيرة على الحجاج والدولة الاموية كذلك أشتهر الفيلسوف الكندي كأعظم فيلسوف عند العرب .

مملكة الحيرة

كان لغزو الإسكندر المقدوني بلاد الفرس سنة ٣٣٣م . واسقاط دولتهم وتقسيمها الى امارات صغيرة عرفت بملوك الطوائف أثر كبير في تشجيع بعض القبائل العربية من الاغارة على اطراف العراق وهو مطمع انظار الساميين وسكان الجزيرة منذ القدم وان تتجمع هذه القبائل في المناطق المحاذية للصحراء حتى لا تبتعد عن محيطها وجوها السابق كثيرا وحتى لا تقطع صلاتها نهائيا لوطنها الاصلي وقد كان لبعض القبائل القحطانية التي نزحت من اليمن بعد انكسار سد مأرب والتي تجمعت في البحرين من ان تتجه الى الشمال وتستقر في منطقة الحيرة القريبة من الصحراء وتنشيء لها امارة عرفت في التأريخ بامارة المناذرة أو امارة اللخميين أو امارة الحيرة وكانت مبدء قيامها في امنتصف القرن الثالث الميلادي وقد ساعد على نشوء هذه الامارة واستمرار بقائها محالفتها للدولة الفارسية التي انشأها اردشير بن بابك سنة ٢٢٦ ميلادية والذي قضى على ملوك الطوائف واسس دولة الاكاسرة والتي عرفت ايضا بدولة آل ساسان أو الدولة الساسانية فكان لأردشير هذا فضل كبير على وحدة كلمة الفرس بعد تفرقها طويلا كما انه ضم المناطق العديدة وأمن حدود الدولة وخاصة من ناحية الغرب التي كانت تهدده منها الامبراطورية البيزنطية وغارات البدو على اطراف السواد فاستعان بأهل الحيرة وامرأها على تأمين حدود الامبراطورية الساسانية ضد غارات البدو فانهم اعرف من غيرهم

بمسالك الصحراء ومجاهلها كما وقفت هذه الامارة الى جانبه في حروبه مع البيزنطيين وقد استمرت هذه الامارة في عونها للدولة الساسانية حتى سقوطها سنة ٦٠٢م بعد وفاة النعمان بن المنذر الثالث .

اما أصل اسم الحيرة الواقعة على بعد ثلاثة أميال جنوب الكوفة فيرجع الى تفاسير عدة وآراء مختلفة منها انها سميت الحيرة من الحيرة والضلال والرأى الآخر يقول ان كلمة الحيرة مأخوذة أو مشتقة من كلمة حيرتا أو حيرتو وهي كلمة آرامية ومعناها المخيم أو المعسكر .

اما عرب الحيرة فهم ثلاثة اقسام وهم من قبائل متعددة فيها من قحطان وفيها من عدنان .

١ ـ تنوخ : وهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والوبر غرب نهر الفرات بين الحيرة والانبار وهم الذين اشتغلوا بالزراعة وكان منهم من يعيش عيشة البداوة بتنوخ من تنوخ إي استقر .

٢ ـ العباد : وهم سكان مدينة الحيرة وهم حضر مستقرون وكانوا على دين المسيح وهم خليط من قبائل العرب اجتمعوا على الدين المسيحي وابتنوا لأنفسهم قصورا في ظاهر الحيرة وسموا بهذا الاسم لكونهم كانوا يعبدون الله .

٣ ـ الاحلاف : وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا في الاصل لا من تنوخ ولا من العباد الذين خضعوا لاردشير ولكنهم ارتبطوا برباط الحلف فسموا لذلك بالاحلاف .

أول امراء الحيرة هو مالك بن فهم الازدي ثم جذيمة الابرش وهذان الاميران توليا أمر عرب الحيرة قبل ان يتخذ هؤلاء العرب مدينة الحيرة مقرا لحكمهم وأول من اتخذ الحيرة مقرا ومركزا له هو عمرو بن عدى وهو ابن اخت جذيمة الابرش ، فقد تعاقبت الملوك بعد عمرو بن عدى

وكان عددهم خمسة وعشرون ملكا ثم تولى العرش الحيري ابنه امرؤ القيس الاول وقد استطاع هذا ان يوسع سلطانه مستغلا ضعف الدولة الفارسية وقد حالف الرومان ومتن علاقته معهم وبذلك استطاع ان ينشر نفوذه على اكثير من القبائل العربية وجعل ابنائه نوابا عنه على تلك القبائل ثم تولى العرش الحيري ملك كانت له شهرة واسعة هو النعمان الاول وقد اشتهر بشدته وانتصاراته المتكررة على اعدائه فقد غزا الشام عدة مرات واكثر المصائب في اهلها وقد اعتنى بتكوين جيش وكانت له فرقتان تسمى احدهما ـ دوسر ـ وهي مؤلفة من عناصر عربية واخرى تسمى (الشهباء) وهي مؤلفة من عناصر فارسية واشتهر ايضا لأنه بنى قصرين هما الخورنق والسدير وقد خلد هذان القصران في الشعر العربي ثم تولى بعده ابنه المنذر الاول الذي اشتهر بمشاركته الفرس في حروبهم العديدة مع الروم الا ان اشهر ملوك الحيرة على الاطلاق هو المنذر الثالث المسمى المنذر بن ماء السماء لقبت به امه لجمالها وقد عاصر امبراطور البيزنطيين جستنيان وكسرى قباذ وانوشروان ملوك الفرس وكذلك الحارث بن اشمر الغساني والحارث بن حجر الكندي وكان المنذر الثالث شديد مع اعدائه الغساسنة ومن مظاهره انه غزا سوريا مرة واكتسح مدنها حتى وصل الى انطاكيه وهناك قبض على اربعمائة راهبة وأمر بذبحهم جميعا تقربا الى الاله فينوس . وكان عمله هذا انتقاما لما حل بالجيوش الفارسية . كما عرف عنه انه لم يستجب لطلب كسرى قباذ ملك الفرس للدخول في الديانة المزدكية التي حاول قباذ ملك الفرس ان يفرضها على سكان الامبراطورية الفارسية وقد ترك المنذر الثالث عرشه لفترة قصيرة ولجأ الى بعض القبائل العربية ثم عاد ثانية الى عرشه بعد وفاة قباذ فولى العرش الفارسي كسرى انوشروان (معناها النار الخالدة) ولما عاد المنذر الثالث الى عرشه عمل على تدمير دولة كندة لأن ملك كندة الحارث بن عمر كان قد دخل الحيرة مستغلا خروج المنذر منها وحالف الفرس قباذ ضد دولة الحيرة لذلك ركز المنذر الثالث

هجومه على هذه الدولة وقتل عدد كبير من امراءها وحرض القبائل على الثورة على دولة كندة وقد انجح المنذر في مساعيه اذ سقطت دولة كندة وتبعثر سلطانها كما ان المنذر الثالث شن حروبا على الغساسنة وحلفائهم الروم وكسر بنود الصلح الذي كان قد عقد بين الروم والفرس وقد انتصر المنذر انتصارات ساحقة أول الامر ودخل عاصمة الغساسنة الا ان الغساسنة سرعان ما انتقموا منه وانتصروا عليه في معركة يوم حليمه • فكانت هذه الحروب التي شنها المنذر على الغساسنة أو التي شنها الغساسنة على المناذرة تعطينا الدليل لوقوف هاتين الامارتين الى جانب حليفتها الدولة الكبرى •

وتعطينا أيضا مقدار تفاني المناذرة في مساعدة الفرس وكذلك الغساسنة بالنسبة للبيزنطيين • آخر ملوك المناذرة هو النعمان الثالث والملقب بأبي قابوس وقد طمع كسرى بالزواج من ابنته الا ان النعمان رفض ان يستجيب لطلب كسرى هذا مما ادى الى غضب كسرى وخوفا من نتيجة هذا الغضب ترك عاصمته لاجئاً الى ابعض القبائل العربية الا انه في الاخير اضطر الى ان يترك اهله وماله وسلاحه وديعة عند هاني بن مسعود الشيباني وكان مصير النعمان ان قبض عليه كسرى ورماه تحت أرجل الفيلة فقضت محليه لم تقف مطالب كسرى عند هذا الحد بل آرسل الي هاني بن مسعود الشيباني يطلب منه تسليم اسلحة واموال النعمان وقد رفض هاني تلبية أمر كسرى وتطورت الامور وانتهى هذا التطور بقيام الحرب بين الفرس والعرب وقد انتصر العرب على الفرس في معركة ذي قار وهي أول معركة انتصر فيها العرب على العجم وقد ذكرها الرسول الكريم بقوله هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصر وكان لهذا الانتصار الاثر الكبير في نفوس العرب حيث ظهر لهم ضعف الدولة الفارسية وانهم يستطيعون الانتصار عليها مما شجعهم على الانطلاق الى هذه الدولة بعد انتشار الاسلام وقيام الفتوح العربية الاسلامية الاولى • اما مصير الحيرة فقد بقيت تابعة للفرس وولى عليها الفرس حاكما من قبلهم وظلت

تابعة للفرس حتى مجيء خالد بن الوليد لفتح العراق وقد صالح خالد زعيم أهل الحيرة المسمى اياس بن قبيه الطائي وتعهد معه على أن يدفع أهل الحيرة الجزية للمسلمين وبذلك اصبحت الحيرة تابعة للدولة العربية الاسلامية ثم أخذ اهل الحيرة يتضائل تدريجيا بعد تمصير الكوفة وقد هاجر سكان الحيرة الى الكوفة ثم عملت عوامل الزمن في مباني الحيرة فاندثرت وبقيت آثار تدلنا على دورها القديم الذي زهت وازدهرت في فترة من التأريخ هي فترة حكم المناذرة كان موقف امراء الحيرة المساعد للفرس ان اتاح لهم هؤلاء الملوك كثيرا من الحرية ولم يتدخلوا في شؤونهم الداخلية بل سمحوا لهم ان ينشئوا لبلاطهم كثيرا من التقاليد والمراسيم وقد ادى تعاظم أمرهم الى التدخل في أمور العرش الفارسي فقد تدخلوا الى جانب أحد الامراء الفرس المسمى (بهرام جور) الذي تربى عندهم في الحيرة فوقفوا الى جانبه ضد اعدائه واجلسوه على العرش الفارسي بعد ان كاد يفلت منه استعان ملوك الحيرة بموظف اطلق عليه اسم (الرديف) وهو كالوزير فكان الملك اذا ركب الرديف معه واذا جلس الملك جلس الرديف عن يمينه واذا غاب خلفه في أمور الناس وكن وكان منصب الردافة مهم جدا .

أهتم امراء الحيرة بتنظيم الجيش تنظيما يساعدهم على الاستعانة به في الحروب العديدة التي كانوا يخوضونها ضد اعدائهم فكان جيشهم مؤلف من فرق متعددة أهمها :

١ ـ الدوسر .

٢ ـ الشهباء .

٣ ـ الرهائن .

٤ ـ الصنائع .

٥ ـ الودائع .

اما الدوسر فكانت تضم عناصر عربية من مختلف القبائل اما الشهباء فكانت مؤلفة من عناصر فارسية اما الرهائن فكانوا حوالي (٥٠٠) رجل يأخذهم الملك رهائن عنده من قبائل العرب ويبقون مدة سنة في خدمة الملك يستبدلون بغيرهم بعد انتهاء السنة • اما الصنائع فكانوا خواص الملك المقربين اليه وهم من بني قيس بن ثعلب ومن قبائل اخرى اما الودائع فهم حوالي (١٠٠٠) رجل من الفرس يضعهم كسرى تحت تصرف أمير المناذرة في الحيرة ويتبدلون كل سنة فهذا ما كان من أمر تنظيم الجيش اما الناحية الحضارية فقد اشتهرت الحيرة بصناعة النسيج والوشي بالقصب والتطريز بخيوط الذهب وظلت الحيرة مشهورة بهذه الاعمال الفنية حتى في العصر الاسلامي كما أشتهرت الحيرة بصناعة الاسلحة وصياغة الحلي والنجارة والصناعة الخزفية والفخار والنقوش وخاصة على الجص واستعملوا اشكال مختلفة كرسوم الازهار والفواكه والزخارف في نقوشهم وفي البناء ابتكروا طرازا خاصا لمبانيهم هو الطراز الحيري • اما ديانة اهل الحيرة فهي الوثنية والمسيحية على المذهب النسطوري نسبة الى نسطوريوس (وهو رجل ديني نادى أو قال بأن المسيح طبيعتين طبيعة الاله وطبيعة البشر) • وبعض الاديان الفارسية واليهودية وكان أكثرهم على النصرانية والدليل على ذلك كثرة الاديرة التي اقاموها في منطقة الحيرة وبقي عدد كبير منها في العهد الاسلامي • اما من الناحية العلمية والثقافية فقد ازدهر التعليم في الحيرة ودرسوا بصفة خاصة الفلسفة اليونانية وترجموها الى لغتهم وهي اللغة السريانية وقد ساعدت هذه الترجمات على نقل هذه الفلسفة وترجمتها الى اللغة العربية في العصر العباسي الثاني ولم تقتصر دراساتهم على الفلسفة فقط بل تعدى الى الطب والعلوم الاخرى وخاصة ما يتصل بالحضارة الفارسية لهذا كانت الحيرة من أهم المراكز القديمة في نقل التراث الفكري القديم الفارسي واليوناني الى العرب بعد الاسلام •

الغساسنة

الغساسنة من قبائل الازد العربية الجنوبية التي هاجرت من اليمن بعد انكسار سد مأرب واتجهت الى جنوب الحجاز الى يثرب ثم اتجهت شمالا الى جنوب بلاد الشام واستقرت في بلاد حوران والبلقاء (الاردن) فاستقرت فيها وكانت هجراتها في نفس الوقت الذي هاجرت فيه قبائل تنوخ وقد سموا بالغساسنة نسبة الى ماء اسمه غسان نزلوا عليه فسموا بازدغسان ثم بتوالي الزمن حذفت كلمة ازد لتبقى كلمة غسان اسماً علما يطلق على هؤلاء القوم .

اما هذه المناطق التي استقروا بها كانت قبل مجيئهم مسكونة من قبائل الضجاعمة وكان الضجاعمة محالفين للبيزنطين ويقومون على حماية الطرق التجارية ويأخذون امن وراء هذا العمل أجورا وقد اندفع الغساسنة الى ان يحلوا محلهم في محالفة البيزنطين وحماية الطرق التجارية وقد نجحوا في ذلك واصبحوا حلفاء للبيزنطين وقد ساعدوا البيزنطين على حماية حدود بلاد الشام من غارات البدو .

وتاريخ هذه الامارة يشوبه الغموض فلا تتفق المراجع العربية مع المراجع اليونانية الا في القليل من اخبار هذه الدولة كما ان المؤرخين العرب انفسهم يختلفون في عدد الملوك واسماءهم وسنوات حكمهم واوثق من كتب عنهم هو المؤرخ الالماني (نولدكه) وهو حجة في تاريخ الغساسنة اذ قال ان عدد الملوك لا يتجاوز العشرة حكموا مدة لا تتجاوز القرن ونصف القرن .

مما ساعد هذه الامارة على التقرب من الامبراطورية البيزنطية لاعتناق افرادها الديانة المسيحية كما ان استقرارها في الاراضي السورية

ادى الى ان تصطبغ بالصبغة السورية فاتخذ الغساسنة اللغة الآرامية لغة للكتابة مع بقائهم على اللغة العربية في استعمالها لغة التخاطب وهكذا سار الغساسنة في نفس الطريق الذي سارت فيه القبائل العربية السابقة التي سكنت هذه المنطقة في أن تصطبغ بالصبغة الآرامية .

مؤسس أسرة الغساسنة هو جفنه بن عمرو وتعتبره المصادر التاريخية انه هو الجسد الأول لهذه الاسرة وكان حكم الغساسنة يشمل المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر العاص والشريعة (الاردن) ومن اطراف العراق بالشمال الى خليج العقبة في الجنوب .

أشتهر من امراء هذه الاسرة الحارث بن جبله ويعتبر اعظم امراء الغساسنة على الاطلاق ويسميه العرب بالاعرج تولى العرش سنة ٥٢٩ وتوفي سنة ٥٦٩م وعاصر الامبراطور البيزنطي جستنيان وكسرى ملك الفرس انوشروان والمنذر الثالث بن ماء السماء ملك الحيرة وقد قضى الحارث أكثر ايامه في سبيل بيزنطة واخلص في خدمتها وحارب الى جانبها اعداءها الفرس والمناذرة ومن ابرز الحوادث التي قام بها انه قاتل المناذرة فوقع أحد ابناءه أسيرا بيد المنذر الثالث وقد قام المنذر بذبحه وتقديمه قربانا لالهة العزى ثم اشترك الحارث بعد عشرة سنوات في قتال المناذرة فانتصر عليهم في معركة يوم حليمة لقد انتقم الحارث لأبنه بأن قتل المنذر الثاني ونظيرا لهذه الخدمات انعم عليه الامبراطور البيزنطي برتبة (بتركيوس) (وفيلدرك) أي رئيس القبيلة وشيخها وهي أعلى المراتب بعد وظيفة الإمبراطور نفسه الا ان العرب لم تعرف هذه الالقاب وانما كانت تنادى اميرها باسم الملك وكانت غاية الامبراطور من هذه الرتبة هو ان يجعل من الحارث خصما قويا في وجه ملك الحيرة ثم قام الحارث ابن جبلة بزيارة بلاط جستنيان في القسطنطينية سنة ٥٦٣م وكان ظهوره بزيه البدوي أثر في نفوس اتباع الامبراطور وقد استطاع الحارث اثناء اقامته في القسطنطينية

أن يحصل على موافقة الامبراطور لتعيين الاسقف يعقوب البردعي اسقفا عاما على عرب الشام وكان هذا الاسقف يدعو الى مذهب جديد يخالف المذهب المسيحي الذي يدين به الامبراطور وهذا المذهب يدعو الى ان للمسيح طبيعة واحدة والتي كانت تسمى بالمنوفستية .

توفي الحارث سنة ٥٦٩م بعد ان حكم اربعين سنة وعقبه في الحكم ابنه المنذر الذي بدأ حكمه بهجوم على المناذرة وانتصر عليهم في وقعة عين اباغ القريبة من الحيرة الا ان البيزنطيين لم يسلكوا مع المنذر مسلكا حسنا بسبب موقف المنذر وتأييده للمذهب اليعقوبي ضد المذهب الارثوذكسي وهو المذهب الرسمي للامبراطورية البيزنطية فدبروا مؤامرة لاغتياله الا ان المؤامرة فشلت فثار المنذر على الدولة البيزنطية وساءت العلاقات بينه وبين الامبراطورية مما ساعد على قيام المناذرة بهجوم على بلاد الشام وكان هجومهم هذا قد ادى الى خلق فوضى واضطراب في بلاد الشام مما اضطر البيزنطيين الى الرجوع لمحالفة المنذر من جديد وعقد محالفة معه وتأييده في حكمه لبلاد الشام لكن البيزنطيين سرعان ما ارتابوا به فقبضوا عليه ونفوه الى القسطنطينية ثم نقلوه الى صقلية وقد ادى هذا العمل الى استياء ابناء المنذر فشقوا عصا الطاعة على الدولة البيزنطية وامروا عليهم اخاهم الاكبر النعمان ثم اخذوا يشنون الغارات على اطراف الدولة البيزنطية وقد استطاع البيزنطيون أن يقبضوا على النعمان ويأخذوه اسيرا الى القسطنطينية سنة ٥٨٣ وتعتبر هذه السنة نهاية الدولة الغساسنة وقد تفرقت كلمة الغساسنة ومنهم من بقى مواليا للبيزنطيين ومنهم من لجأ الى الفرس ومنهم من توغل في الصحراء واخذ البيزنطيون على انفسهم منذ ذلك الوقت بالاشراف المباشر على حدود البلاد الشامية وقد جاء انهيار دولة الغساسنة بنفس الوقت الذي انهارت فيه امارة المناذرة وكأن دولة الفرس والبيزنطيين قد شعرتا بقرب ذلك الزحف القادم من الجزيرة العربية فازالوا هاتين الامارتين ليشرفوا بانفسهم على حدود اطراف بلادهم وهذا ما حصل فعلا

اذ اندفع العرب بعد قليل فدكوا حصون هاتين الدولتين وقوضوا اركانهـا وازالوها عن هذه البلاد .

آخر امراء الغساسنة هو جبلة بن الايهم الذى اسلم في عهد عمر بن الخطاب ولكنه ارتد عن الاسلام وترك البلاد العربيـة ولحق بالبيزنطيين وبقي هناك حتى مات .

بلغت دولة الغساسنة درجة كبيرة من الحضارة فقد كان في بلادهـا كثيرا من الحصون كما كان فيها كثير من البيع والكنائس وكان ملوكهـا يقتنون الجوارى الروميات وقد تعلموا من مخالطتهم الروم ومحاربتهـم الفرس الفنون الحربية وطرق الدفاع وكسبوا المرانة العسكرية واتخذوا من اللغة اليونانية كثيرا من المصطلحات . والذى يلاحظ على امارة الغساسنة انها لم تكن لها عاصمة واحدة كما كانت الحيرة عاصمة المناذرة ففي أول أمرهم كانت عاصمتهم معسكرا متحركا ثم اتخذوا لهم فيما بعد عاصـمة ثانية في الجابية وقد ذكر بعض المؤرخين ان عاصـمتهم كانت دمشق أو جلّق القريبة منها وقال بعض المؤرخين ان عاصمتهم كانت البلقاء وقـال غيرهم تدمر وقال بعضهم صفين ومهما يكن من أمر مما لا شك فيه انهم اقاموا بجلّق فترة غير قصيرة من الزمن .

كان هؤلاء الغساسنة على ما يظهر أرقى عقلية من عرب الحـيرة لأنهم كانوا اقرب اتصالا بالثقافة اليونانية والمدنية الرومانية وكان الشعراء العرب يفدون اليهم فيحسنون وفادتهم فقد وفد عليهم من الشعراء النابغـة الذبياني والاعشى والمرقش الاكبر وعلقمة الفحل وفيهم يقول حسان بن ثـابت :

للـه دروا عصـابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الاول

كذلك الادب العربي مملوء بالقصص والاساطير والامثال التي قيلت في هؤلاء الغساسنة كالذى ذكروا من حكاية امرىء القيس وايداعه مئـة

درع عند السموءل فطلبها ملك من ملوك غسان فأبى ان يعطيها اياه فذبح ابنه . الى كثير من امثال ذلك .

ويروى ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني حديثا عن حسان بن ثابت الانصاري قال (ان حسان دعي مرة الى مأدبة سمع فيها غناء لمغنية اسمها رائقة وصاحبتها فلما عاد الى بيته قال لقد اذكرتني رائقة وصاحبتها أمرا ما سمعته اذناي بعد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الايهم لقد رأيت عشرة قيان خمس روميات يغنين بالرومية وخمس يغنين غناء أهل الحيرة وكان جبله اذا جلس للشراب فرش تحته الآس والياسمين واصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب واوقد له العود المندى ان كان شاتياً وان كان صائفا بطن له بالثلج واتى هو واصحابه بكساء صيفية ينفصل هو واصحابه بها وفي الشتاء بفراء الفنك (دابة فروتها أحسن انواع الفراء) وما اشبهه الا والله ما جلست معه يوما قط الا وخلع على ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه هنا مع حلمه عمن جهل وضحك وبذل في عمله على حسن وجه وحسن حديث ما رأيت منه فاحشة ولا عربده ونحن يومئذ على الشرك) .

مكـــة

مكة قبلة المسلمين اليها يحجون كل عام فيها ولد الرسول الكريـــم محمد بن عبدالله وفيها نشأ وترترع وفيها بشّر بدعوته السمحاء دعـــوة الاسلام دعوة الحق والايمان لذا وجب علينا ان نبحث تاريخ هذه المدينة المقدسة وما تعاقبت عليها من احداث وما طرأت عليها من تطورات لنصـل الى كنه حقائق تاريخها تلك المدينة التي حظيت بقدسية في عصر ما قبـل الاسلام بأن شرفها الله واقام فيها أول بيت لعبادته وتوحيده قال تعالى (أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليـــه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) .

ثم ازدادت قدسية واحتراما بعد ان بزغت فيها شمس الهداية شمس الاسلام وما زالت على هذه القدسية وستبقى ما تعاقب الحدثان .

تقع مكـة في قلب الحجـاز في منخفض من الارض تحيط بـه بعض التلال ويمتد وادى مكة من الشمال الى الجنوب وهي على بعد ٤٨ ميلا من البحر الاحمر في وادي قفر صخرى قال تعالى (ربنا اني اسـكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

اما مناخها فهو شـديد الحرارة جاف وقـد ادى جفاف المناخ الى ان تكون مدينة صحية خالية من الاوبئة وخاصة الملاريا التي كان يعاني منهـا سكان المناطق ذات المياه الوفيرة كمدينة خيبر ومدينة يثرب امطارها قليلة لا تسقط الا في النادر وذلك اعتمد سكانها على مياه الآبار وغالبا ما تكون مالحة اما الامطار فاذا ما سقطت في أواخر الشتاء وبداية الربيع فتكـون

سيولاً جارفة تهدد الابنية الموجودة في شعاب مكة • وقد حدث أن جرفت الكعبة مرات مما اضطر سكانها الى اقامة السدود والحواجز والردم لدرىء خطر هذه السيول المفاجئة • هذه المدينة التي وجدت في واد قفر صخري بخلت عليها الطبيعة بالامطار واعتمدت على الآبار • كان لذلك نتيجة واحدة هي انعدام الزراعة الا انها لم تخلو من الاعشاب البرية في مواسم المطر وبعض الاشجار الصحراوية •

اما أصل اسم مكة فيقال انها سميت مكة لازدحام الناس بها ويقال مكة اسم المدينة وبكه اسم البيت ويقال انها سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيها اى نصغر صغير المكاء حول الكعبة فكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا ما طافوا بها قال تعالى (وما كانت صلاتهم الامكاء وتصدية) ورأى آخر يقول سميت مكة من مك الثدى أي مصد لقلة ماءها لأنهم كانوا يمكون الماء اى يستخرجونه وقيل ايضا انها تمك الذنوب أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه فلا يبقى فيه شيئاً •

من اسماء مكة الاخرى الناسه أم رحيم أم القرى البيت العتيق الحاطمة ومكوربا ومعناها المقدس وهو اسم سبأى •

اما متى اسست مكة فهذا ما يصعب تحديده على وجه التحقيق لكن الغالب على الظن أن موضعها كان قبل تأسيسها محطا لرجال القوافل يضربون فيه خيامهم سواء في ذلك القادمون من اليمن الى الشمال ام القادمون من أرض الشام الى الجنوب الا ان ما أورده القرآن الكريم يدل على أن البيت قد اقامه ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) هذه الآية الكريمة تؤكد لنا أن بناء البيت قام به ابراهيم ولكنها لا تشير الى بناء المدينة ولعل بناء البيت كان سببا في اقامت المدينة في هذا الموضع الذى

كان محطا للقوافل فزاده قدسية واجتذابا للناس بنـــاء البيت كما زاد في اجتذاب الناس تفجر المياه من بئر زمزم الذى اغرى بعض العمالقة والقبائل اليمانية فاقامت الى جواره وكانت جرهم من أشهر القبائل اليمانية التـــي نزلت مكة وقد اتصل بهم اسماعيل بن ابراهيم بطريق المصـاهرة وتزوج منهم ولما توفي تولى أمر البيت بعده ابنه ثابت ثم تولى بعـد ثابت ولاة من جرهم واستمرت ولايتهم الى سنة ٢٠٧م اذ انتقلت ولاية البيت بعد هـــذا التأريخ الى قبيلة خزاعة التي جاءت من اليمن وقد استطاعت خزاعة طـرد جرهم من حول البيت وان تحل محلها وظلت خزاعة على ولايتها لأمـــر البيت حتى جاء قصي بن كلاب فانتزع السيادة من خزاعة وكان قصـــي زعيما لقريش ومنذ ان استولى قصي على أمر البيت استقرت قريش في مكة ودأبت على خدمة البيت والقيام بواجبات سدانته وحجابته والامور الاخرى المتصلة بأمر الحجاج وكان نزول قريش بزعامة قصي مكة سنة ٤٤٠م اما لماذا سميت قريش وما هو اصلهم فقد اجمع المؤرخون ان قريش من ولد كنانة الذى يرجع نسبه الى عدنان وينتهي الى اسماعيل والى ذلك يشـير الحديث النبوى قال الرسول (ص) (اختار الله من اسماعيل كنان واختار قريش من كنانة واختار بني هاشم من قريش واختارني من بني هاشـم فانا خيار من خيار) وبذلك تكون قريش من العرب المستعربة أو عـرب الشمال أو عرب الحجاز .

اما اصـل اسم قريش فهـو لقب تلقبت بـه هـذه القبيلـة واصبح بتوالي الزمن اسـماً علما لهذه القبيلة اما من اين اتـى هـذا اللقب فهناك آراء منهـا ان قريش بمعنـى التقرش اى التجمع بعد التفرق وذلك حينما أجمعهم قصي بن كلاب حول الحرم فسموا قريشا وسـمي قصي مجمعا وقيل سميت قريش من التكسب والتجارة وهذا في رأى اقرب الآراء الى الصحة ولقريش اسماء اخرى منها العالية وذلك لفضلهم وعلمهم وسموا كذلك آل الله وجيران الله وسموا أيضاً السخينة (السخينة نوع من

الطعام يتخذ من الدقيق ويؤكل في شدة الدهر وغلاء السعر وكانت قريش تأكله فعيبت به حتى لقبت بالسخينه) •

سيطرت قريش على مكة منذ أن نزلت اليها بزعامة قصـي بن كلاب وقد تعرضت مكة خلال هذه الفترة لأول غزو أجنبي جاءها من اليمن وهو الغزو الحبشي الذى كان يقوده ابرهة وقد أستطاع ابرهة ان يصـل الى مشارف مكة في عام سمي عام الفيل وهو العام الذى ولد فيه الرسـول أى سنة ٥٧٠م وكانت رغبته هدم الكعبة وتحويل انظار العرب الى كنيسته التي بناها في صنعاء وكانت محاولته هذه قد باءت بالفشل اذ نصر الله بيته فارسل طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول اذهل هذا الفشل الذي اصاب الاحباش العالم العربي وملأ نفوسهم احتراما لاهـل مكة لما اصابوه من نصر وظفر حتى قال العرب (أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم) وارتفعت مكانتهم بين القبائل وادعى المكيون لأنفسهم مكانـا ممتازاً فقالوا نحن بني ابراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنـوا مكـة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا فخضع العرب لما افترضه المكيون عليهم وازدادت قداسة الكعبة ودانت العرب للمكيين وما فتأت قريش تتمتع بهـذا النفوذ العظيم زهاء نصف قرن حتى بعث الله محمدا فازدادت مكانتها قدسية واحتراما ولا شك ان هذا النصر كان فاتحة خير على العرب عامة واصبحوا يؤرخون فيه حوادثهم وقد مهد السبيل لقبول الدعوة الاسلامية والقيام بنصرتها ونشر دين توحيد هو دين الحنفية اذ لو اتيح لهذا الجيش النصـر والظفر لتغير وجه التأريخ وانتشر الدين المسيحي في بلاد العرب وانصرف الناس عن مكة الى صنعاء •

التجارة حرفة أهل مكة

مكة بلد فقير في وادى غير ذى زرع تقع في الحجاز ذلك الجزء من الجزيرة العربية الذى لم يتعرض لهجمات الفاتحين وغزو الطامعين بل حافظ على استقلاله منذ أقدم العصور وكان من أثر ذلك ان ظهرت في أهل الحجاز طبائع خاصة بهم من حيث عرافة اصلهم وشرف آبائهم وشهامتهم كما أن هذا الاستقلال قد حافظ على لغتهم نقية خالصة من شوائب الدخيل الاعجمي •

احتلت مكة مركزا ممتازا له جانبان جانب ديني وجانب تجارى فهي المركز الديني الوحيد في الجزيرة العربية الذى يحج اليه العرب وكان لكل قبيلة صنم خاص بها مقام في جوف الكعبة وسميت الكعبة لأنها مكعبة الشكل وهي بيت صغير يحيط به فضاء غير مسقوف وفي ركن من أركان هذا البيت يوجد الحجر الاسود وقيل انه سقط من السماء بالاضافة الى هذا المركز الديني فقد كانت مكة محطة للقوافل ومركزا تجاريا هاما لكونها واقعة على الطريق التجارى البرى بين اليمن جنوبا والهلال الخصيب شمالا أى في منتصف المسافة تقريبا فالى اليمن جنوبا والشام شمالا وقد أخذت أهمية مكة بالازدياد منذ القرن الخامس الميلادى عندما سقطت الدولة الحميرية بيد الاحباش ونشوب الحروب بين الفرس والروم مما عرقل التجارة العالمية المارة بالعراق فادى ذلك الى النشاط التجارى بين اليمن وسورية عبر مكة • على أن المكيين لم يكتفوا بأن تكون مدينتهم ممر للقوافل فقط بل ساهموا بأنفسهم بالنشاط التجارى فلا ادل على ذلك من التعابير المالية والتجارية التي استعملها القرآن الكريم كالحساب والميزان والقسطاس والمثقال كذلك أخبار القوافل المكية التي ورد ذكرها في كتب التأريخ ومن أشهر تلك القوافل قافلة ابي سفيان التي وقعت من أجلها

معركة بدر الكبرى كذلك اخبار رحلات قريش ومنها رحلة الصيف ورحلة الشتاء • مما ساعد على هذا النشاط التجارى مركز مكة الديني الذى جلب لها الاحترام من قبائل العرب فكانت قوافلهم تسير آمنة مطمئنة لا يعتدى عليها أحد وقد نشطت تجارة مكة مع الاقطار المجاورة فكانت قوافلهم تحمل المسك والمنسوجات الى الحيرة كما كانت قوافلهم تنقل منتوجات الهند واليمن الى بلاد الشام وترجع هذه القوافل محملة بالزيت والحبوب والخمور والاسحلة والجوارى والمنتوجات من بلاد الشام وكان سفر هذه القوافل الى بلاد الشام يكون عادة في الصيف لذلك كان للقريشيين اتصال تجارى مع مصر ومع الحبشة وكانت تنقل اموالهم التجارية على السفن المصرية ويذهب بها الى بلاد الحبشة اما تجارتهم مع اليمن فكانت تجرى في الشتاء وكان اغلبها من العطور والجلود والاقمشة والسيوف كما راجت تجارة مكة بين القبائل العربية داخل الجزيرة العربية فاخذت تقيم الاسواق التجارية في الاشهر الحرم وتذهب فيها للبيع والشراء واشهر هذه الاسواق هو سوق عكاظ وقد تطور أمر هذه الاسواق واصبحت ملتقى الشعراء والخطباء وقطب الدائرة الفكرية في الجزيرة العربية وقد استفاد العرب من هذه الاسواق بأنهم شعروا انهم امة واحدة جمعتهم رابطة اللغة وقد ساعدت هذه الرابطة اللغوية على توحيد اللغة التي نزل فيها القرآن الكريم •

جلبت هذه التجارة على سكان مكة الثراء والثراء الفاحش حتى قدرت ثروة مكة بثروة تدمر وحتى قيل ان تسعة اعشار الرزق في مكة من التجارة وقيل في قريش ايضا من لم يكن تاجرا لم يكن عندهم بشيء ولم تكن التجارة مقصورة على الرجال بل شاركت فيها النساء ولعل ابرز مثل على ذلك خديجة زوجة النبي (ص) وكانت قوافلهم تحمل الاموال الطائلة ويشترك فيها اكثر أهل مكة وكان اصحاب التجارة يسيرون مع القافلة أو يرسلون شريكا لهم أو أجيرا أو عبيدا الا ان القوافل كان

تنظيمها يكون اجماعيا فيعين لها رئيس وحراس وادلاء واناس يعملون فيها هذا الى عدد من التجار من الذين يرافقونها ويمهد لسيرها باتفاقات مع القبائل التي تمر بها القافلة وكذلك اتفاقات مع الدول التي تذهب اليها قوافلهم وتسمى هذه الاتفاقات بالايلاف وهي الامان .

أشتهر من تجار قريش عبدالرحمن بن عوف الذى قيل فيه انه كان يحصل الذهب من الحجارة وأبو سفيان والوليد بن المغيرة وعبدالله بن جدعان وعثمان بن عفان وغيرهم كثيرون .

استفاد القريشيون من اشتغالهم بالتجارة فوائد جمة فقد وقفوا على أحوال البلاد المجاورة وعرفوا احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كذلك وقفوا على العلاقات بين هذه الدول وعرفوا مقدار العداء الموجود بين الفرس والروم اضف الى ذلك معرفتهم للامور الحسابية التي اضطروا الى تفهمها لكي يستخدموها في أمورهم التجارية ذلك ان التاجر مضطر الى تسديد ارباحه وخسائره وتسجيل الاموال التي يتاجر بها فنتج عن ذلك توسع مداركهم فظهر فيهم عدد من الزعماء والقادة الذى اظهروا مقدرة فائقة في قيادة الجيوش الاسلامية بعد ظهور الاسلام .

تبع اشتغال أهل مكة بالتجارة قيامهم بالصيرفة فقد كانت ترد اليهم دنانير الذهب البيزنطية والدراهم الفضية الفارسية فكانوا يقومون بابدال هذه النقود بعضها بالبعض الآخر ويأخذون من جراء ذلك رسوما على هذا الابدال وكان الابدال يقوم على اساس وزن العملة لا على اساس العدل كما تبع الصيرفة والتجارة الاقراض بالربا وهو ان يأخذ الدائن من المدين ارباحا على تأجيل دينه فكلما تأجل الدين زاد الربا وقد حرم الاسلام الربا تحريما قاطعا واحل الله البيع وحرم الربا .

نظـام الحكم في مكة

لم تكن في مكة حكومة لها نظمها واساليبها الادارية والسياسية بل كانت جمهورية تجارية (بلوتوقراطية) ومعنى ذلك حكومة الاغنياء وكانت نظمها تشرع وتنفذ برغبة أكثرية سكانها بواسطة من ينوب عن هـذه الاكثرية من الزعماء والرؤساء وكان هؤلاء الزعماء يجتمعون في دار الندوة التي شيدها قصي بن كلاب ويطلق على الزعماء هؤلاء اسم الملأ ولم يكن لهذا الملأ سلطات تنفيذية كان لابد ان تكون قراراتهم بالاجماع ليلتزم بهـا كل من حضر من الزعماء وينفذها على اتباعه لذلك لم تعرف مكة حكمـا فرديا مطلقا الا انه اشتهر من زعماءها من تقدم الصفوف بما اتصف به من مواهب وامكانيات ليقود الناس في أوقات معينة واشهر هؤلاء الذين ذكرت أخبارهم وتولوا قيادة أهل مكة هم قصي بن كلاب وعبد مناف وعبدالمطلب وأبو سفيان .

اما ادارة شئون مكة فقد عهدت الى عشرة من أشرافها وزعت عليهـم مناصب الدولة وكانت هذه المناصب وراثية في أكبر أفراد البيت وكل زعيم يمثل بطنا من بطون قريش وكانت هذه البطون هي هاشم . أمية . نوفل . عبدالدار . أسد . تيم . مخزوم . عدى . جمح . وسهم . وكانت المناصب موزعة على هذه البطون عند ظهور الاسلام على النحو الآتي فكان لبني هاشم سقاية الحجيج وعمارة البيت (والعمارة هي منع الناس من ذكر هجـر أو رفث أو فسوق في المسجد) وكان يتولاها العباس بن عبدالمطلب فكان لبني أمية العقاب وهي رأية لقريش وكانت لابي سفيان بن حرب وكانت الرفادة لبني نوفل وتولاها الحارث بن عامر (والرفادة هي ما كانت تخرجه قريش من اموالها وترفد به أى تسعد به منقطع الحجـاج وكان اللـواء والسدانة والحجابة الى بني عبدالدار وكان يليها عثمان بن طلحة وكان يلي

أيضا دار الندوة اما المشورة فكانت في بني اسد وكان يزيد بن زمعه بن الاسود وكانت الاشناق وهي الديات والمغرم اي الغرامة كانت في بني تيم وكان يليها أبو بكر الصديق وكانت القبه والاعنه لبني مخزوم وكان يليها خالد بن الوليد فاما القبه فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش واما الاعنه فهي قيادة خيل قريش في الحرب وكانت السفارة لبني عدى ومنهم عمر بن الخطاب وكانت لايسار والازلام في بني جمح وكان يليها صفوان بن امية وكانت الحكومة والاموال المحجرة التي أوقفت على آلهتهم بيد الحارث بن قيس من بني سهم ٠

هذا ما يتصل بالامور العامة اما الامور الفردية فكانت تحل بطرق اخرى ذلك ان مكة لم يكن بها قاضي أو حاكم يفصل في القضايا التي تنشب بين الناس فاذا ما حدث بين افراد العشيرة الواحدة نزاع فان رئيس العشيرة هو الذي يحكم فيه اما اذا حدث نزاع بين أفراد من قبائل متعددة فانهم كانوا يلجأون الى الكاهن للاستقسام بالانصاب والايسار لتكون الحكم بينهم غير انه حتى في حالة حكم الحاكم بقضية ما فانه كان يترك ذلك لتراضي الناس وموافقتهم اذ لم تكن هناك سلطة تنفذ قرارات مثل هؤلاء الحكام وقد ادى هذا الى غبن الضعفاء وكثرة المظلومين وقد استفزت هذه الحالة الخطرة بعض الناس فكونوا حلف الفضول لمساعدة المظلومين وحمايتهم من الظالمين وكاد هذا يتطور الى تكوين سلطة تنفيذية ولكن مجيء الاسلام عوض عنه وحل محله في العمل ٠

المدينة المنورة

وهي المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة والتي كانت مسكنا لقبائل عدة متحضرة في العصر الجاهلي وقد اصبحت بعد الاسلام مدينةالرسول الكريم بعد هجرته اليها من مكة وقد لقي فيها التأييد والنصر واصبح اسمها من ذلك الحين مدينة الرسول أو المدينة ونبذ الناس اسم يثرب وهو اسمها القديم ولم يعد يذكر هذا الاسم القديم الا في كتب التاريخ للاستدلال على ذلك الاسم ٠

تقع يثرب أو المدينة على بعد (٣٠٠) ميل شمال مكة كما تبعد عن البحر الاحمر حوالي خمسين ميل وهي فوق هضبة بلاد العرب الوسطى وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات ما عدا شمالها الشرقي فيكون مفتوحا ٠ أشهر تلك الجبال جبل أحد وثور ـ تمتاز أراضى يثرب بسهولة التربة الا أنها تنحدر نحو الشمال باتجاه انحدار الهضبة كلها وبذلك كان موقعها في أوطأ نقطة من هذه الهضبة وقد أدى هذا الانخفاض الى أن تتجمع اليها المياه المنصبة أيام الشتاء في برك بالقرب منها فتكون بعض المستنقعات التي تؤدي الى انتشار بعض الحميات كالملاريا مثلا ٠ ان أرضها امتازت بالخصوبة لكونها أرضا بركانية ومع وجود مناطق سبخة فيها الاملاح لذلك اعتبرت المدينة بلدة زراعية تكاثرت فيها الاشجار والنباتات وأشهر تلك الاشجار النخيل كما أن المدينة تقع على الطريق التجاري بين الشام واليمن فاستفادت بعض الفوائد التجارية الا أن هذه الفوائد كانت أقل من فوائد مكة ٠ وتاريخ المدينة غامض لا يعرف أوله ، الا أن الاخبار التي وردت في كتب التاريخ العربي تشير الى أن أول من سكن المدينة هم العمالقة ثم اليهود الذين جاءوا من فلسطين فرارا من الرومان الذين احتلوا بلادهم فأجلوا اليهود العمالقة عن المدينة وحلوا محلهم وقد اشتغلوا بالزراعة والحرف الصناعية ومن أشهر القبائل اليهودية التي سكنت المدينة

قبائل بنو قريضة والقينقاع وبنو النضير وبقوا بالمدينة حتى أجلاهم الرسول الكريم عنها لغدرهم وخيانتهم وفي خلال سكنى اليهود المدينة سكنت قبائل عربية هذه المدينة وهذه القبائل هي الاوس والخزرج وقد تأثر هؤلاء باليهود اذا اقتبسوا منهم كثيرا من المبادىء والآراء الدينية اليهودية التي هيأت الاوس والخزرج لقبول الدعوة الاسلامية كما أثرت هذه القبائل العربية باليهود الذين تعلموا منها اللغة العربية وقد تنازع العرب واليهود السيادة على المدينة حتى جاء الرسول فجعل السيطرة كاملة للعرب والمسلمين .

الطائف

وهي المدينة الثالثة من مدن الحجاز تقع في الجنوب الشرقي من مكة على بعد ٧٥ ميلا جنوبا وعلى ارتفاع ستة آلاف قدم .

سميت الطائف لأن ثقيف بنت حائط يطيف بها وكانت قبلا تسمى وادي وج واشتهرت الطائف بجمال مناظرها وكثرة أشجارها وطيب هوائها فكانت مصيف لاهل مكة وامتازت بخصوبة تربتها وجودة مناخها وثمارها لا تختلف عن ثمار الشام حتى قيل في احدى الاساطير العربية أنها كانت قرية بالشام نقلها الجن الى الحجاز وقد اشتهرت الطائف بحاصلاتها مثل . العسل . البطيخ . العنب . الزيتون . السفرجل . كما اشتهرت ورودها بالعطر الذي كان يجد فيها أهل مكة ما يحتاجونه من طيب .

سكنت الطائف قبيلة ثقيف وقد امتازت بالعقل والمقدرة فأنجبت في صدر الاسلام المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه وهم من دهاة العرب الاربعة في الاسلام وكذلك أنجبت الحجاج ابن يوسف الثقفي والي العراق المشهور ومحمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند . وهكذا نجد أن هذه المدينة قد شاركت أخواتها مكة والمدينة في تكوين القاعدة الاولى للدولة الاسلامية بما قدمت من رجال وزعماء وقادة على عواتقهم رفعت راية الاسلام عالية خفاقة في ربوع بعيدة عن الجزيرة العربية .

(الحياة البدوية ونظمها)

العرب في جاهليتهم عاشوا متحضرين ومتبدين ، متحضرون عاشوا في بقاع اليمن والشام والعراق والحجاز وقد حاولنا في الدروس السابقة أن نعطي فكرة واضحة عن مدى تقدم ورقي تلك البقاع . ومتبدون عاشوا في بوادي الجزيرة وصحاريها متنقلين من مكان لآخر وراء الماء والكلأ وقد فرضت عليهم ظروف البيئة التي عاشوا فيها عدم الاستقرار ودفعهم الى الترحال كلما دعت الحاجة الى ذلك لذلك فان هذه القبائل العربية لم تعرف الاستقرار ومعنى ذلك أنها لم تعرف التنظيم السياسى ذلك التنظيم المرتبط دائما بالاستقرار ، بل عاشت في ظروف معينة وخاضعة لتقاليد وارتباطات معينة ، وسنأتي عليها لعلنا نعطي فكرة عن مظاهر الحياة البدوية لتلك القبائل العربية .

قبل أن نبدأ بدراسة حياة البدوي ونظمه وأساليبه في الحياة علينا أن نظهر تلك الارتباطات التي ربطت العربي في حاضرته والعربي في باديته ذلك أن العربي الذي عاش في اليمن والشام والعراق ظل على علاقة وثيقة بالحياة البدوية سواء كان ذلك في علاقته العنصرية حيث أن العربي ظل يرتبط برباط العشيرة والعائلة وما تفرضه تلك الرابطة من فروض وواجبات أو في خضوعه لتقاليد البادية التي فرضت عليه أن يسلك سبيلا مشابها لمسلك البدوي في اتصالاته وارتباطاته مع الاخرين أو لاحترامه وتقديسه لمثل وصفات عربية أصيلة كالكرم والوفاء والشجاعة وغيرها تلك الارتباطات التي ظل العربي في حاضرته يعتز بها اعتزاز البدوي بها . ولهذا فان العربي عاش فترة من الزمن في ظل النظام والاستقرار لم يبتعد كثيرا عن روحية اخوانه في بطاح الجزيرة لذلك فاننا اذا ما تكلمنا عن حياة البدوي من النواحي المختلفة فاننا نستطيع أن نقول بأننا أعطينا صورة

واضحة عن العربي في جميع المستقرات وفي مختلف الظروف والاحوال سواء في العصور القديمة أو العصور الحديثة ذلك أن هـذه الارتباطات القبلية كانت صفة مميزة لقبائل الساميين كالاكديين والاشوريين والعبرانيين كما وأنها ظلت صفة مميزة لقبائل العرب بعد الاسلام وحتى العصور الحديثة لم تستطع التخلص من هذه النظم والارتباطات البدوية سواء في المدن أو الارياف أو في البوادي والصحارى • والذي أبقى على هذه النظم وهذه الارتباطات هو أن الدين الاسلامي وان قضى على بعضها ولكنه أبقى على الكثير منها واعترف بها وأصبحت تكوّن جزء من أسلوب الحياة الذي انتهجه المسلمون وقد ظهرت آثار ذلك الاسلوب واضحة بعد انسياح المسلمين الى بقاع بعيدة عن الجزيرة العربية اذ كان أكثرهم من البدو الذين حملوا معهم لغتهم وتقاليدهم فظلت هذه النظم وهذه التقاليد تسيطر على المسلمين في هذه البقاع آمادا طويلة وحتى وقتنا هذا •

فدراسة النظم البدوية اذاً مهمة جدا لفهم حياة الساميين عامة وكذلك لفهم القرآن والاسلام والمدنية الاسلامية والشعر والثقافة العربية ، بل ولفهم حياتنا الحاضرة أيضا •

والذي حافظ على هذه الصفات وأبقاها هو أن العرب عاشوا في وسط الجزيرة العربية بعيدين عن الاحتكاك بالامم الاخرى أو في شبه عزلة عن هذه الامم نظرا لبيئتهم الصحراوية التي لم تتغير منذ الازمنة التاريخية فكان لهذه العزلة تأثيرها في استمرار هذه النظم أسلوبا جيدا لحياة البدو ولم تستطع المؤثرات الاجنبية المحدودة التي تأثر بها العرب في أطراف الجزيرة والقريبين من الفرس والروم أن تغير كثيرا من هذا الاسلوب أو تقضي على بعض هذه النظم ولكن العرب فقدوا بعضا منها بعد تركهم جزيرتهم واستقرارهم في بيئات جديدة تختلف عن بيئتهم العربية •

لم يقتصر تأثير بيئة الجزيرة على نظم البدو ، بل تعدى الى أن اتسم

العربي بصفات ميزته عن غيره وقد تولدت في الغالب نتيجة حياته الطويلة في الصحراء .

فأما صفاته الجسمية فهو في الغالب نحيف الجسم متوسط القامة ذو أنف أقنى وعيون سوداء لوزية مفتوحة وشعر مسترسل وجمجمة مستطيلة وله قابلية كبيرة على الصبر وتحمل المشاق الجسمية من مشي طويل وغذاء يسير ويتميز أيضا بالشجاعة والاقدام وانجاد الضعيف وحماية المرأة .

والبدوي عصبي المزاج مرهف الحس سريع التهيج يحب الحرية والمساواة ويتميز بأنه واقعي لا يجهد نفسه في أمور بعيدة التصور ، فهو بسيط في حياته وفي تفكيره أبعد التعقيد والتفلسف عن فكره وخياله ، منسجما مع طبيعته البسيطة فهي أرض ترامت أطرافها تظلها سماء صافية تناثرت نجومها متلألئة متألقة وبذلك اختلف عن اليوناني الذي عاش في بيئة معقدة فجاء تفكيره معقدا أيضا ومن ذلك نشأت الفلسفة عند اليونان كما اتصف بالشجاعة والشهامة والكرم والوفاء ومساعدة الضعيف والى غير ذلك من الصفات الحميدة التي أعطت للامة العربية الصدارة بين الامم فهي خير أمة أخرجت للناس .

التنظيمات الاجتماعية

عاش العرب في الجاهلية على أسلوب النظـام القبلي فهـو الاساس الذي ارتكزت عليه الحياة البدوية وهو نتيجة من نتائج البداوة التي عمت أرجاء الجزيرة العربية • والقبيلة جماعة من النـاس ينتمون أو يزعمون أنهم ينتمون الى جد واحد مشترك انحدرت منه ويسكنون في الغالب منطقة واحدة يتنقلون في أرجائها أو الى ما جاورها من المناطق اذا دعت الحاجـة بشكل جماعي وتربط بينهم روابط عديدة أهمها رابطة الدم التي تفرض عليهم التعاون في مختلف الميـادين ولا سيما في أوقات المنازعات والحروب والدفاع عن حياض القبيلة ضد اعدائها والاشتراك في دفع الدية والمطالبة بدم قتيلهم فكل فرد منهم مسؤول عن الاخذ بالثأر لقتيل القبيلة اذ ان ذلك كان المظهر لقوة القبيلة ومنعتها •

تكون القبيلة من أفراد يقل عددهم أو يكثر فهو يصل الى الالآف شخص وينحدر الى عدة أفراد • وتتكون القبيلة من العرب الصلب أي الذين زعموا انهم من صلب رجل واحد الذي هو جد القبيلة والحلف وهم الذين يلتجأون الى قبيلة ما يطلبون حمايتها لضعفهم وقد يكون الحليف قبيلة أو فرد أو أفراد فاذا كانت قبيلة فان ظروف الحياة قد دفعتها الى أن تجد لها حليفاً قوياً تستطيع به دفع غائلة العدوان عليها اما اذا كان فـرداً فالغالب ما يكون هذا الفرد من الذين خلعوا من قبائلهم الاصلية لارتكابهم جرائم القتل فتخلعهم قبائلهم ولما لم يكن باستطاعة الفرد العيش بمفرده في صحارى الجزيرة فيضطر الى الالتجاء الى قبيلة أخرى يطلب حمايتهـا ويكون في حالة قبوله كأحد افرادها أن يتحمل جميع الاعباء التي تقع على الافراد الصلبيين • ثم العبيد الذين يقومون بالخدمة في بيوت القبيلـة وموردهم كان من أسرى الحرب أو غالباً ما يكون عن الطريق الشـراء من أفريقيا •

كان لكل قبيلة رئيس يطلق عليه شيخ القبيلة أو سيدها ويتولى سلطته عن طريق تحليه بصفات حميدة أهلته لزعامة هذه القبيلة ولا يشترط في أن يكون وراثيه سيد القبيلة ما لم تكن فيه مثل تلك الصفات ويجوز أن تنتقل الرئاسة الى بطن آخر من بطون القبيلة ولم يكن لرئيس القبيلة اي سلطان أو قوة حقيقية بل كان سلطانه معنويا مستمدا من شجاعته وهيبته الشخصية وما له من شرف النسب ونبل الاخلاق وسعة الثروة وحكمة الرأى وكمال التجربة وهو المسؤول عن قيادة قومه في الحروب وهو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم عنها وهو كأحد أفراد القبيلة ينظر اليه أفرادها نظرة أحدهم يخاطبونه باسمه ويناقشونه في أمور القبيلة دون قيد ويفرضون عليه رأيهم أن كان الحق في جانبهم فلا سيد ولا مسود بينهم فكلهم متساوون في الحقوق والواجبات تربطهم رابطة مثلى هي مصلحة القبيلة وحفظ كيانها وعزتها بين القبائل الاخرى •

تنقسم القبيلة الى بطون والبطون الى أفخاذ والافخاذ الى عوائل وكل عائلة مكونة من الرجل وزوجته واولاده فالعائلة اذن هي الوحدة الاجتماعية المكونة للقبيلة وترابط هذه العائلة هو الاساس المكين الذي تقوم عليه القبيلة فكان الرجل ينظر الى زوجته نظرة ملؤها الاحترام وتتمتع المرأة بقسط وافر من الحرية فكانت تستشار في مهام الامور بل تشارك الرجل في كثير من أعماله وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي أكثر مما يخيل الينا يدلك على ذلك افتخار الرجل بنسبه لامه كما يفخر بنسبه لأبيه واعطاؤهم المرأة قسطا وافرا من التشبيب والوصف في مقدمة قصائدهم التي يفخرون بها بمحامد قومهم وعظيم فعالهم كما كان الرجل يأخذ رأى ابنته في زواجها فلا يزوجها الا برضاها حتى الطلاق كان يوضع أحياناً بيد الامرأة فيما اذا اشترطت ذلك حتى لا ينفرد الرجل بهذا الحق الا انه وجد في بعض القبائل مثل قبيلة بني أسد وتميم عادات مستقبحة وهي عادة (وأد البنات) أي دفنهم وهم أحياء في صغرهن خشية الفقر

والعار وقد نهى عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) .

اما معاملة العربي لابنه فكانت تنطوى على الحنان والمحبة الا قليلا من الفقراء كانوا يقتلون أولادهم مخافة الاملاق وقد سفههم الله سبحانه وتعالى ونهى عن هذه العادة المرذولة بقوله (ولا تقتلوا اولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم واياكم) . اما معاملته للأخ وابن العم فكانت مناصرته لهم اخطأوا أم اصابوا بمعنى أن الرجل كان يلحقه العار اذا قعد عن نصرة اخيه أو ابن عمه وفي ذلك قالوا (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فكان لهذا الترابط العائلي والترابط القبلي أثره في سيادة روح الوئام بين أفراد القبيلة الواحدة الا أن ذلك كان مفقودا بين القبائل المختلفة وقد أنهك ذلك الامر قواهم في حروبهم المستمرة التي كانت تثار لسببين وهما التنافس على مادة الحياة وهي المراعي وموارد الماء والتنازع على الشرف والرئاسة وكان للشعراء أثر كبير في تأريث نيران العداوة بين القبائل المختلفة بتعداد المآثر والمفاخر ودفع نظرائهم عنها واذا ذل أحد افراد القبيلة لحق العار القبيلة بأسرها وقد يؤدى نزاع بين فردين من قبيلتين مختلفتين الى قيام الحروب بين هاتين القبيلتين ولو كان السبب تافهاً وقد ظهر تنازعهم وتطاحنهم في أيامهم التي أشتهرت بأسم أيام العرب وأشهرها حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان وحرب الفجار بين كنانه وقريش وهوازن وحرب البسوس بين بكر وتغلب ويوم بغاث أو بعاث بين الاوس والخزرج ... الخ . هذا ما يفسر لنا أن الفرقة كانت تبث قرونها بين القبائل العربية مما أدى الى ضعفهم وخضوعهم لدول أجنبية وأن يصبحوا أداة في يد الدول القوية كالفرس والروم وقد أنقلب هذا بعد ظهور الاسلام الى تجمعهم وفي التجمع القوة فاندفعوا تحت راية الاسلام متوضين أركان الامبراطورية الفارسيه والامبراطورية البيزنطية والايغال بعيداً عن جزيرتهم تدفعهم روح جديدة

هي روح الاسلام وتقودهم عزتهم العربية الى أن يفخروا بأمتهم بين الامم الاخرى •

الحالة الدينية

انتشرت في ارجاء الجزيرة العربية اديان ومعتقدات مختلفة منها اعتقادات وثنية واخرى اعتقادات وحدانية • فأما المعتقدات الوحدانية فتتمثل في انتشار الديانة اليهودية والديانة النصرانية • اما المعتقدات الوثنية فتتمثل في عبادة الاصنام والاوثان كما انتشرت الى جانب ذلك نزعة الاحناف بين طائفة من عقلاء العرب •

١ ـ اليهودية : انتشرت اليهودية في مناطق معينة من الجزيرة وهذه المناطق هي اليمن ووادى القرى ـ خيبر وتيماء ويثرب حيث اقامت قبائل بنو النضير وقينقاع وقريضة ويختلف المؤرخون في قومية هؤلاء اليهود فمنهم من يقول انهم عرب تهودوا وآخرون يقولون انهم نزحوا الى الجزيرة من فلسطين وقد اثر نزول هؤلاء اليهود في منازلهم هذه ان نشروا مبادىء دينهم من بعث وثواب وعقاب وقد أثر ذلك في الوثنية الحجازية حتى اصبح أهل يثرب أسرع العرب الى قبول الاسلام •

٢ ـ المسيحية : انتشرت المسيحية في قبائل تغلب وغسان وقضاعة في الشمال وفي بلاد اليمن في الجنوب وكان انتشار هذه الديانة يعود الى جهود الاباطرة في القرن الرابع الميلادي وقد انتشرت من مذاهب المسيحية مذهبان المذهب النسطورى في الحيرة ، واليعقوبي في الشام اما هم مواطن النصرانية في الجزيرة فهو مدينة نجران اليمانية •

٣ ـ الوثنية : وهي الديانة الرئيسية التي كانت منتشرة في ارجاء الجزيرة العربية ويدين بها أكثرية العرب ويقال ان الذي نقل الوثنية

الى العرب هو عمرو بن لحى الخزاعي الذى نقل بعض الاوثان من بلاد الشام الى الكعبة • وقيل في سبب ذلك كما روى ابن الكلبي ان عمرو بن لحى مرض مرضا شديدا فقيل له ان في البلقاء من الشام مصحه ان اتيتها برأت فاتاها فاستحم بها فبرأ ووجد اهلها يعبدون الاصنام فقال ما هـذا فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم ان يعطوه منها فنقلها فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة • وكانوا قبل ذلك على دين ابراهيم وهو الحنفية الا انه لما طال الامد وبعدوا عن زمن النبوة كثر فيهم الجهل وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى والدين المبين وجروا على شهوات انفسهم واتبعوا كل ناعق وراجت عليهم الآراء الفاسدة والمذاهب الخبيثة الفاسدة حتى افترقت كلمتهم كل الافتراق سيما بعد ان ظهر فيهم عمرو بن لحى الخزاعي وشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله وهذا مما سهل عليه ان يحمل العرب على عبادة الاصنام والاوثان كما ساعد على انتشارها تقليد العـرب لقريش التي اتخذت من الكعبة محلا لاصنامها •

أشهر هذه الاصنام (هبل) وكان اعظمها وكان من العقيق الاحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى وضعت له قريش يدا من ذهب وكان أول من نصبه خزيمة من مدركه بن اياس بن مضر فكان يقال له هبل خزيمة وعند هبل كانت تضرب القداح في كل أمر من أمور قريش الهامة وقصه عبدالمطلب وضربه القداح على اولاده الذين نذر ان يذبح احدهم ان بلغ عددهم العشرة فكان القداح يخرج في المرات الثلاث على عبدالله أصغر أولاد عبدالمطلب ووالد الرسول ثم افتدى عبدالله بمائة من الابل •

ولم يكن هبل وحده معبود العرب فقد انتشرت الاصنام في انحـاء الجزيرة العربية على شكل بيوت واشجار وحجارة مصورة وغير مصورة حتى قيل انه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما وكانت غاية قريش من ذلك هو الانتفاع من قدوم القبائل في موسم الحج فوضعت اصنام

القبائل الشهيرة حول الكعبة حتى اذا اتوا مكـة وزاروا الحـرم وجدوا معبوداتهم فاولوها احترامهم وتقديسهم •

ومن اصنامهم المشهورة أيضا مناة وهي اله القضاء ولا سيما قضاء الموت وقد نصبت على ساحل البحر بين المدينـة ومكـة وكـانت تعظمها الاوس والخزرج وقام بكسرها بعد فتح مكة بأمر الرسول علي بن ابي طالب • ثم اللات وهي صخرة مربعة كانت بالطائف تعظمها • ثم العزى وكانت تمثل شجيرات في وادي نخلة فكانت العـرب تطـوف بالكعـة وتقول واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الفرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى كما كانوا يقولون بنات الله وهن يشفعن اليه ومن معبودات العرب ايضـا سواع بارض ينبع وود في دومة الجندل ويغوث ويعوق ونسر •

الى جانب هذه الاصنام الرئيسية كان لكل فرد صنم خاص فاذا اراد احدهم السفر تمسح به وطاف حوله واذا عاد من سفره كان أول عمل يقوم به هو الطواف حول صنمه والتمسح به •

الى جانب هذه الديانة انتشرت اديان اخرى عند العرب منها عبادة الشمس والقمر والكواكب والنجوم واديان اخرى كالزرادشتية والصابئة ومنهـم من عبدالجن وعبدالملائكـة كمـا ورد في القرآن الكريم (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) ومنهم من عبد النار •

كان العرب يقدمون القرابين لآلهتهم ويسيرون في مواكب حـول معابدهم وتختلف هذه القرابين منها قرابين نسويه كما فعل المنذر بن ماء السماء عندما قدم اربعمائة راهبة للسيار فينوس أو ذبائح وهو عادة العرب الغالبة الا فيما ندر ومن قصة عبدالمطلب ونذره ان يذبح أحد اولاده ان كثروا وهي قصة عبدالله والد الرسول الكريم •

على الرغم من وثنية العرب فانهم كانوا يؤمنون بالله بدليل قولـه تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

امام هذه الفوضى في المعتقدات ظهر بين العرب اناس مستنيرون فطنوا الى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء من الوثنية الى اعتقادات ارقى منها وذلك لاختلاطهم باليهود والمسيحيين ووجد بينهم اناس دعوا الى دين توحيد جديد له علاقة بالمسيحية ودعوا الى نبذ عبادة الاوثان والتخلص من عادات الجاهلية كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وكانوا يعتقدون بالبعث وبوجود اله واحد يحاسب ويجازي الناس على اعمالهم من خير وشر ويطلق على هذه النزعة التحنف وعلى اصحابها الحنفاء او التائبون المعترفون . من هؤلاء الاحناف امية بن ابي الصلت الشاعر المعروف وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي وهو اشهر قضاة العرب .

وعلى الجملة فانه لما ولد الرسول (ص) اخذت الوثنية لدى العرب في الضعف واخذ بعضهم يؤمن بالحياة الآخرة وكان لليهودية والمسيحية اشياع كثيرون يؤمنون بتلك العقيدة القائلة بالتوحيد على انه لم يقدر لأي دين من هذه الاديان الفوز والغلبة في بلاد العرب فقد كانت المسيحية اذ ذاك مذهبا معقدا تعددت فيه الفرق واختلفت وكانت اليهودية دين الشعب المختار الذي لم يقبل العرب على انفسهم ان يضحوا باستقلالهم كما ضعف مذهب التوحيد لما لاقاه من معارضة العناصر المقتبسة من دين زرادشت ومع ذلك فقد مهدت المذاهب الافكار والآراء المسيحية واليهودية والفارسية الطريق لظهور المصلح المنتظر وهو النبي محمد (ص) .

الناحية الادبية

جهل العرب في جاهليتهم امور الدين والتوحيد • ولم يكونوا يجهلون أمور الحياة • كما لم يكونوا بعيدين عن التفكير السليم بل كانت لهم ثقافة راقية وأدب رفيع تمثل ذلك الادب في شعرهم الغزير ذو النواحي المتعددة والجوانب المختلفة والاغراض المنسجمة مع حياتهم البدوية واصالتهم العربية • ولا ادل على تلك الحركة وشمولها ارض الجزيرة من ذلك البحر الزاخر بالقصائد والاشعار والمعلقات والخطب والامثال التي طفحت بها كتب الادب العربي وتناقله الرواة وما حفظته صدور النقلة والحفاظ • وقد وصلنا هذا الشعر على اروع درجة من الرقي من نبل القصد وصياغة المعنى وحبك الاسلوب وصفاء التركيب فهو عنوان ومظهر لهذه اللغة العربية التي بلغت في العصر الجاهلي غاية التكامل والجودة وقد ساعدها على بلوغ كمالها ابتعادها عن المؤثرات اللغوية الاجنبية بسبب انعزال العرب في جزيرتهم كذلك ساعد على هذا التكامل تلك الاسواق التجارية الادبية التي كانت مجمعا للشعراء والخطباء يتنافرون ويتفاخرون فيها بخطبهم وقصائدهم فساعدت هذه الاسواق الى صقل هذا الشعر وتقارب لهجات العرب وابعاد الغث من الكلام عنه فكان هذا الشعر هو المظهر لتلك الحركة الادبية التي نشأت في ذلك العصر والذي لم يقف امام نهضتها جهل العرب القراءة والكتابة فلا غرابة في ذلك لان العرب اعتمدوا على الرواية وحفظ الاشعار وتناقلها بينهم وذلك لاهتمامهم بالشعر وتعظيمهم للشعراء الذين كانوا يحمون اعراضهم ويذبون عن احسابهم ويخلدون مآثرهم ويشيدون بذكرهم فكان العرب لا يهنئون الا لغلام يولد او فرس تنتج او شاعر ينبغ فيهم •

يمتاز الشعر العربي بأنه مقفى ويسير على بحور معينة والقافية ميزه

خاصة بالشعر العربي ، تناول هذا الشعر الحياة العادية والشؤون الحيوية للبدوي وطالما كان يتفنى الشاعر العربي بذكر تلك الحياة وامتداحها وصبغها بجم الالوان من الاخيلة الشعرية فهو صورة صادقة لتلك الحياة البدوية البسيطة الا انه لم ينس هـذا الشعر نصيبه من الحكم الرائعـة والافكـار القيمـة .

من مشاهير شعراء الجاهلية شعراء المعلقات . قيل ان اشهرهم هو امرؤ القيس والاعشى والنابغة وزهير بن ابي سلمى .

من شعر امرؤ القيس في وصف فرسه :

مكر مفر مقبـل مدبر معـا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

لـه ايطلا ظبي وساقا نعامـه
وارخاء سرحـان وتقريب تنفل

ومن شعر زهير في المدح ويعتبر هذا البيت من اشهر ابيات المدح وهو :

تراه اذا مـا جئتـه متهـللا
كأنك تعطيه الذي انت سـائله

وقول النابغة الذبياني :

فلسـت بمستبق اخا لا تلمـه
على شـعث اي الرجال المهذب

وقول طرفه بن العبد :

قد يبعث الامر العظيم صغـيره
حتى تظل لـه الدمـاء تصبب

قول الاعشى في الهجاء :

تبيتون في المشـتى ملأ بطونكم
وجاراتكم غرثـى يبتن خمائصـا

الى جانب الشعر ازدهرت الخطابة فقد نبغ خطبـــاء عديدون ومن مشاهيرهم قس ابن ساعدة الايادي وهو اشهر الخطباء ذكرا وارفعهم قدرا وفيه قال رسول الله (يرحم الله قسا اني لارجو يوم القيامـــة ان يبعث امة واحدة) وكذلك سحبان وائل ودريد بن زيد ومرثد الخير واكثم بن صيفي وقيس بن عاصم المنقرى وغيرهم كثيرون . هــذا من الناحية الادبية اما من النـــاحية العلمية فقد حـــذق العرب بحكم البيئة التي نشأوا عليها وطبيعة البلاد التي درجوا على ارضها فن علم الانواء فقد برعوا في معرفة الانواء ونزول الغيث كما مهروا في علم الاثر وهو معرفة آثار الاقدام كما مهروا في علم الانساب التي اهتموا بحفظ انسابهم وانساب القبائل الاخرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

البعثة النبوية

محمد نبي الله ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق لينقذ الناس مما كانوا عليه من الضلالة والعماية والجهالة ولينير للملايين من ابناء البشر طريق الحياة الواضح ويقودهم الى خير الدنيا ونعيم الآخرة فهو واحدمن اولئك الانبياء او تلك المصابيح الهادئة في ظلمات الدهور الذين ارسلهمالله لهداية الناس وكان محمد (ص) خاتمهم وبرسالته العبقة النقية الطاهرة ختمت دعوات الله الى البشر فجمعت خير ما اتت به تلك الدعوات وكانت خلاصة خيرة لما انزله الله على انبيائه ورسله السابقين من رسالات .

اما حياة رسولنا الكريم (ص) فتنقسم الى عهدين او فترتين :ـ

العهد الاول في مكة : يبدأ من مولـده وينتهي بهجرته الى يثرب استغرق هذا العهد ثلاثاً وخمسين سنة .

العهد الثاني : بدأ في المدينة المنورة وامده عشر سنوات وانتهى بوفاته بعد انتصـاره على الكفرة والمشـركين وثبت الدين وانتشـرت الويته في ربوع الجزيرة .

ولد الرسول في ٢٠ نيسان سـنة ٥٧١م الموافق ١٢ ربيع الاول [١] من عام الفيل وهو العام الذي غزا « ابرهة » الحبشي الكعبة .

اما ابوه فهو عبدالله بن عبدالمطلب (شيبه) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب ، وقـد مات ابوه قبل ولادته فكفله جده عبدالمطلب ، واما امه فهي آمنـة بنت وهب الزهري (من بني زهرة) .

ولد الرسول (ص) يتيماً فعاش في كنف جده وعهد في ارضاعه الى امرأة بدوية اسمها حليمة السعدية كما جرت عادة اشراف قريش فنشأ الطفل في جو بدوي ثم توفيت امه وهو في السادسة من عمره ودفنت في (الابواء) في طريق عودتها من المدينة وبذلك اصبح يتيم الابوين وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك (الم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فغنى) فكفله جده عبدالمطلب فلما بلغ الرسول الثامنة من عمره توفى جده عبدالمطلب فكفله عمه ابو طالب رغم انه لم يكن غنياً وكان كثير العيال .

كانت لرعاية ابي طالب لابن اخيه في صغره خير عون له كما كانت حمايته له وهو في بدء دعوته اقوى مانع لبطش قريش ولذا كان لهذه العلاقة اهمية كبرى في تاريخ الرسول والدعوة الاسلامية في ادوارها الاولى .

نشأ الرسول (ص) في مكة وبيئتها التجارية فشارك في كثير من الاحداث التي وقعت في مكةفقد شارك في حرب (الفجار) التي وقعت بين قريش ومن معها من كنانة وبين هوازن وسميت الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم على اثر الفجار حدث (حلف الفضول) الذي عقدته قريش لينصفوا المظلوم من الظالم وقد حضره الرسول (ص) وروى انه قال (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما احب ان لي حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت . كما انه شارك في بناء الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة فقد حدث ان جددت قريش بناء الكعبة لتصدع جدرانها وكان الرسول ينقل الحجارة مع القريشيين وقد اختلفوا فيمن يضع (الحجر الاسود) مكانه ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل من (باب شيبه) فكان الرسول (ص) اول من دخل منه فقالوا - هذا هو الامين رضينا به حكماً - واخبروه الخبر فبسط ردائه ووضع الحجر فيه وقال لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب حتى انتهوا الى موضعه فاخذه الرسول ووضعه في مكانه وبذلك ارضاهم جميعاً اضف الى ذلك ان

الرسول شارك اهل مكة في حرفتهم التجارة منـــذ صغره فسافر مع عمه ابي طالب الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم سافر بالتجـارة مرات عديدة الى الشام واليمن وقد افادته هذه الاسفار بما شاهد من احوال بلاد الشام وطرق التعامل واخلاق الناس ومظاهر الحياة في البيئة الرومانية كما وقف على اساليب النــاس في البيع والشراء مما كــان له اعظم الاثر في التشريعات بعد الرســالة وقد ادى اشتغاله بالتجــارة وما عرف عنه من الصدق والامانة اللتين كانتا شعاراً له منذ نعومة اظفاره الى معرفته بالسيدة خديجة بنت خويلد وهي سيدة شريفة موسرة ارسلته في تجارة لها الى الشام وقد ربحت هذه التجارة اضعافاً فضــاعفت له الاجر ثم خطبته الى نفسها فتزوجهـــا وهو ابن خمس وعشرين سنة وكــانت هي ارملة في الاربعين وقد انجبت له ستة اطفال منهم فاطمة التي تزوجت بعلي ابن ابي طالب فيما بعد وكانت خديجة اول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به وكانت خير عون له تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس.

كان الرسول (ص) على جانب عظيم من حسن الخلق واشتهر بين قومه بالمروءة والوفاء بالعهد وحسن الجوار والحلم والعفـــة والتواضع والجود والشجاعة والصدق والامانة حتى سموه الامين وكان يكره عبادة الاوثان فلم يحضر مواسم الحج وكــان لا يشرب الخمرة ولا يأكل مما يذبح على النصب ولا يحضر مجالس اللهو والسمر وقد عصمه الله قبل النبوة وبعدها وبشرت بنبوته التوراة والانجيل كما تنبأ الرهبان والكهان العرب ببعثه كالذي حدث من امر (بحيرا الراهب) وتنبوءه بأمر الرسول عندما شاهد الرسول معية عمه في بلاد الشام وكثرت بذلك الاخبار حتى سمي بعض العرب اولادهم باسم محمــد عسى ان يكون هو النبي المنتظر وقد قال الله تعالى حاكياً ما جاء على لسان عيسى (عليه السلام) (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) .

شعر الرسول بالوضع السيء الذي كان عليه قومه في عبادتهم لهذه الاوثان والاصنام والتي صنعت بايدي القوم وعجز هـذه الاصنام عن ان تقوم بشيء لنفسها او لغيرها وسخر في قرارة نفسه من هـذه المعبودات التي سيطرت على عقول الناس وقد اجمع المؤرخون واصحاب السير على ان الرسول لم يكن يأنس لهذا النوع من الديانات التي كان يدين بها اكثر العرب وكان يخلو بنفسه ويفكر في ذلك كثيراً واستمر كذلك حتى اخذ بالحنفية وهي دين ابراهيم الذي دان به بعض العرب والذين اطلق عليهم اسم الاحناف .

الوحـي :

دفع هذا الوضع السيء الذي كان يسيطر على اهل مكة الرسول الى العزلة والابتعاد عن مشاركة اهل مكـة في ضلالهم ولو لفترة من الزمن فكان يذهب الى غار حراء يتحنف ويتأمل عجائب الكون ويفكر في خلق السموات والارض وكان يبقى الايام والليالي في ذلك الغار يتعبد ويتأمل ليعود بعدها الى بيت خديجة ليتزود بالزاد ولم يزل على حاله حتى نزل عليه الوحي **وكان اول ما بدىء من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى** رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وبقي الرسول على ذلك اشهر حتى بلغ الاربعين من عمره فنزل عليه الوحي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان فرأى جبريل الذي ظهر امامه وقال (اقرأ) فقال ما انا بقـاريء فضمه ضمة قوية حتى بلغ منه الجهد وقال له (اقرأ) فقال – ما انا بقاريء – فضمه كذلك ثم اطلقه وقل له في الثالثة (اقرأ باسم ربك الـذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فكانت هذه الآية اول ما نزل من القرآن الكريم .

نزل الرسول (ص) مسرعاً الى خديجة يرتجف ممـا اصابه فقال (زملوني – زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع واخبر خديجة بما

رأى فأخذته خديجة الى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان شيخاً كبيراً حفظ الانجيل فقالت له ـ يا ابن العم ـ اسمع من ابن اخيك فاخبره عليه الصلاة والسلام بما رأى فقال له ورقة هذا هو النــاموس الذي نزل على موسى ثم قال يا ليتني فيها جدعاً اذ يخرجك قومك فقال الرسول (ص) ـ او مخرجي هم ـ فقــال ورقة لم يــأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي • وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ـ ثم لم يلبث ورقة ان توفي •

وهكذا بدأت تلك الدعوةالاسلاميــة يبشر بها الرسول (ص) بين اهله واقاربه ومن ثم بين اصدقائه ومعارفه سراً وجهراً داعياً الناس الى نبذ عبادة الاصنام وعبادة اله واحد احد لا شريك له وهو الــذي يجازي الطيبين والمفسدين كلاً على عمله •

قال رسول الله (ص) ـ امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد منعوا مني انفسهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ـ •

بدأ الرسول (ص) بالدعوة منذ ان امره الله على لسان جبريل وبعد نزول قوله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر) واخذ يدعو الناس سراً لمدة ثلاث سنوات فاعتنقها عدد قليل من الاقرباء والاصــدقاء فكانت (خديجة) وعلي بن ابي طالب وابو بكر وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وزوجته وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله وهؤلاء من السابقين الاولين الى الاسلام وكان دار ابن الارقم مقر الاجتماع للمسلمين يدعو فيها الرسول سراً للدين الجديد وقد استجاب لهذه الدعوة بعض الموالي وضعاف الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول فاذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ويقولون ـ غلام بني عبدالمطلب يكلم من السماء ـ فلم

يزالوا كذلك حتى اظهر عيب الهتهم واخبرهم ان اباءهم ماتوا على كفر وضلال وانهم في النار عند ذلك اظهر زعماء مكة عداءهم وبغضهم للرسول (ص) وسميت هذه الدعوة دعوة الافراد لان الرسول (ص) يدعو كلا من هؤلاء على انفراد •

الجهر بالدعوة :

بعد مضي ثلاث سنوات من بدء الدعوة الاسلامية والمسلمون يستخفون من قريش في صلاتهم وفي الدعوة الى هذا الدين الجديد حتى كان المسلمون لا يصلون الا في بيت مغلق او شعب خال ينظر بعضهم الى بعض •

امر الرسول بالجهر بالدعوة مستجيباً لدعوة ربه وقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) (وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فأن عصوك فقل اني بريء مما تعملون) •

بدأ الرسول بان دعا آل عبدالمطلب وخطب في جمعهم يحثهم للدخول في الدين الجديد وانهم اولى من ينذر واحق من غيرهم بالسبق الى هذا الدين وقد اجابه ابو طالب واخرون بكلام لين مظهرين حمايتهم له الا انهم **اصروا على البقاء على دين ابيهم عبدالمطلب الا أبو لهب فانه كان خشناً** قاسياً على الرسول (ص) ثم خرج على اهل مكة وقد جلس على الصفا فنادى يا معشر قريش فقالت قريش محمد على الصفا فاقبلوا واجتمعوا فقالوا مالك يا محمد قال (ارأيتم لو اخبرتكم ان خيلاً في سفح هذا الجبل اكنتم تصدقونني قالوا نعم انت عندنا غير متهم ما جربنا عليك كذباً قط • قال ـ فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • يا بني عبدالمطلب يا بني مناف • يا بني زهرة • حتى عد الافخاذ من قريش ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً الا ان تقولوا لا اله الا الله قال ابو لهب ـ تباً لك الهذا جمعتنا فانزل

الله عز وجل فيه (تبت يـــد ابي لهب ... الخ) ذعرت قريشـ من اشتداد امر هذه الدعوة التي اخذت تسري وتنتشر بين قريش داعية الى نبذ عبادة الاوثان وداعية الى عبادة اله واحد وكان ذعر قريش متأتياً من خوفها ان تفقد عبادتها ومركزها الديني بين العرب وما كانت تأتي به تلك العبادة من الاموال اضف الى ذلك ما ورثوه عن ابائهم واجدادهم خاصة وان الرسول (ص) وسم اباءهم بالكفر والضلال وانهم في النــار خالدون وعمدت قريش الى ايذاء المسلمين وسعت ســـعياً حثيثاً للوقوف في وجه انتشار الدين الجديد بما كانت تصبه على الضعفاء من المسلمين من اذى وعذاب واشتهر من رجالات قريش في ايذاء المســـلمين والرسول ابو جهل [1] وابو لهب [2] والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل السهمي والحكم بن العاص [3] وابو سفيان وكان هؤلاء ومن والاهم يشتدون في تعـــذيب المسلمين ضرباً وجوعاً وعطشاً ليردوهم عن دينهم وليقول احدهم ـ آمنت باللات والعزى ـ وقـد لاقى الضعفاء من المسلمين اذى شديداً ومنهم عمار بن ياسر وامـه وابيه فمات ابوه وامه من شدة العذاب كذلك تعرض بلال للعذاب الشديد من سيده امية بن خلف الجمحي فكان هذا يلقي بلالاً في الرمضاء على وجهه وظهره اذا حميت الشمس وقت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقى على صدره ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى وكان لسان بلال لا يكف عن القول (احد .. احد) ولم يزل على هـذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر واعتقه وقد لاقى (خباب بن الارت) مثل عذاب بلال ولم يقتصر العذاب على الرجال بل تعداه الى النساء فقد عذب

---

(١) البلاذري في ص ٦٠ ـ انساب الاشراف .
(٢) لكل امة فرعون وفرعون هذه الامة أبو جهل .
(٣) عبد العزى بن عبدالمطلب .
(٤) والد مروان بن الحكم .

عمر بن الخطاب امرأة اسلمت وكان اسمها (لينه) عذاباً شديداً ولم تزل في العذاب حتى اشتراها ابو بكر واعتقها . هذا ما كان ينزل في الضعفاء اما الاقوياء والاغنياء المسلمون فكانوا يعاتبون ويلامون حتى ضاقت قريش ذرعاً بهذه الدعوة فارادوا ان يوقفوا الرسول عند حده فمشى رجال من قريش اليه يرغبونه ويحاولون اقناعه بالعدول عن هذا الذي جاء به وكان ممن مشى اليه عتبة ابن ربيعة وكان سيداً من سادات قريش فلقي الرسول (ص) في المسجد ومناه بالمال والجاه والغنى الا أن الرسول رفض هذه العروض واسمع عتبة آياً من القرآن الكريم (حم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) استمع عتبة الى هذا الحديث فذهب الى قومه قائلاً (انـي سمعت قولاً ما سمعت مثله قط واللات ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها لي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه) ثم عمد زعماء قريش الى عمه ابي طالب لعله يقنعه بالكف عن هذا الدين والا فهم احرار فيما يفعلون وكان قولهم هو (يا ابا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عناوانا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى نكفه عنا أو ننازله واياك حتى يهلك أحد الفريقين .

دعا ابو طالب ابن اخيه (ص) وبين له موقف قريش ومطاليبهم فرفض الرسول (ص) وقال (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته) ثم استعبر فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب وقال (اقبل يا ابن اخي فاقبل رسول الله (ص) فقال (اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لااسلمك لشيء ابداً . وبذلك اظهر أبو طالب الجد في نصرة الرسول (ص) . يئست قريش من ابي طالب بعد الذي رأته منه في حمايته للرسول (ص) فجددت العزم على ايذاء الرسول (ص) والتنكيل باصحابه .

الهجرة الى الحبشة

في السنة الخامسة من مبعث رسول الله (ص) حدثت الهجرة الاولى الى الحبشة فقد هاجر عدد من المسلمين وهم احد عشر رجلاً واربع نسوة مستترين مستخفين هرباً من عذاب قريش حيث ضاقت بهم مكة فأمرهم رسول الله (ص) بالهجرة الى الحبشة دون غيرها من البلدان اذ كانت احب الارض الى الرسول (ص) وقال الرسول (ص) للذين هاجروا – لو خرجتم الى الحبشة فان بها ملك لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه . وقد اختار رسول الله (ص) ارض الحبشة دون غيرها لان القبائل العربية الموجودة في الجزيرة العربية سوف تجامل قريشا زعيمة العرب فلا ترعى هؤلاء او تأويهم بالاضافة الى تمسكها بوثنيتها لذلك لم يأمر الرسول (ص) هؤلاء المهاجرين ان يهاجروا الى اي قبيلة من قبائل العرب كما انه لم يرشدهم الى يثرب لانها كانت موطن الديانة اليهودية او الى « نجران » فهي موطن الديانة النصرانية او الحيرة او الشام اللتان كانتا تعيشان في نزاع مستمر وفوضى وعدم استقرار او « اليمن » التي كانت تحت سيطرة الفرس الذين لم يدينوا بدين سماوي فلم يطمأن الرسول (ص) اليها ، فكانت هجرة المسلمين الى الحبشة خطوة سياسية موفقة من الرسول (ص) فقد ذاع بين العرب ان جماعة منهم قد فروا الى الحبشة بدين جديد تلقوه من محمد (ص) فكان هذا بمثابة دعوة الى الاسلام وقد استاءت قريش من خروج هؤلاء والتجائهم الى النجاشي وقد اطمأن هؤلاء بارض الحبشة واصابوا بها دارا وقرارا فارسلت قريش رجلين منهم وهما « عمرو بن العاص » و « عبيدالله بن ابي ربيعة » الى النجاشي ليقنعاه باعادة هؤلاء الفارين اللاجئين اليه . سار عبيدالله وعمرو الى النجاشي ومعهم الهدايا وقالا له – عند مقابلتهم اياه – ايها الملك قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين جديد ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد

بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم واعمامهم وعشائرهم لنردهم عليهم فهم اعلم بهم عينا واعلم ما عابوا عليهم • بعث النجاشي في طلب هؤلاء وسألهم ـ ما هذا الدين ؟ الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من هذه الملل • فرد جعفر بن ابي طالب عليه قائلا ـ ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما احل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان عن عبادة الله وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك) • فقال النجاشي ـ هل معك مما جاء به عن الله ؟ تقرأه علي ـ قال جعفر نعم وتلا من سورة مريم الى قوله تعالى « فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا » •

دهش البطارقة وقالوا ـ هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا المسيح وقال النجاشي ان هذا الذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة • انطلقا والله لا اسلمهم اليكما وقد عاد هؤلاء المهاجرون الى مكة بعد ان سمعوا بموافقة قريش للرسول ولكنهم فوجئوا عند اقترابهم من مكة بان ما أشيع غير صحيح وان قريشاً ما زالت على عنادها وموقفها السابق من الرسول فاضطروا الى دخول مكة مستخفين أو لائذين ببعض رجالات قريش ثم اضطروا الى الهجرة ثانية الى الحبشة وفي هذه

المرة بلغ عددهم أكثر من ثمانين مهاجرا بين رجل وامرأة وبقوا هناك حتى هاجر الرسول الى المدينة فعاد بعضهم من هجرته الى المدينة وبقي البعض الآخر حتى السنة السابعة للهجرة من اشهر. من هاجر الى الحبشة «عثمان بن عفان» وزوجته رقية بنت الرسول و «عبيدالله بن جحش» وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان و «الزبير بن العوام» و «عبدالله بن مسعود» و «عمرو ابن سعيد بن العاص» وأخوه «خالد بن سعيد» وغيرهم .

مقاطعة قريش لبني هاشم

سلكت قريش طرقا عدة في سبيل محاربة الرسول وايقاف دعوته ولكنها فشلت وعجزت عن أدراك بغيتها ورأت ان الدعوة في نمو مطرد خاصة وان الاسلام قد قوي باسلام رجلين كانا لهما اثر كبير في قوة المسلمين وتعزيز مركزهم ذلك الرجلين هما «عمر بن الخطاب» الذي اسلم في السنة الخامسة لمبعث رسول الله (ص) وبعد هجرة المسلمين الى الحبشة . و «حمزة بن عبدالمطلب» حتى قال عبدالله بن مسعود ـ ما كنا نقدر ان نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

أما اسلام حمزة فقد اعز الاسلام وعرفت قريش ان حمزة سيمنع الرسول فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه . كما رأت قريش ان ابا طالب لا زال على موقفه من حماية ابن اخيه وانه لم يستجب لطلباتهم المتكررة كما ان الاسلام أخذ ينتشر بين القبائل العربية اضف الى ذلك امتناع النجاشي من تسليم المسلمين والمهاجرين اليه كل هذه العوامل دفعت قريشا ان تجد لها حلا حاسما لمقاومة وانتشار الدعوة والقضاء عليها فقررت قريش وتعاهد زعماؤها على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة واتفقوا على بنود منها لا ينكح اليهم ولا ينكحون ولا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون

منهم وكتبوا هذه الامور على صحيفة وعلقت في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم وكان كاتب الصحيفة هو « منصور بن عكرم » الـــذي دعا عليه الرسول فشلت بعض أصابعه • اضطر بنو هاشم الى ان ينحازوا جميعهم الى شعب ابي طالب الا ابو لهب الذي بقي مع قريش في مكة وتظاهر معهم على أهله وعشيرته • كــانت قريش تظن ان هذه المقاطعـــة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ستجبر بني هاشم والمطلب الى تسليم الرسول اليهم وقتله وعند ذلك يتخلصون منه • لم تقف قريش عند حــد المقاطعة بل ازدادت في ايذاء المسلمين بشتى الوسائل وقد دامت هذه المقــاطعة حوالي ثلاث سنين لم يخرج المسلمون من ذلك الشعب الا في الاشهر الحرم • لم تنل هذه المقاطعة من عزيمة المسلمين او عزيمـــة الرسول الذي ازداد اعتصاما وتمسكا بدين الله وازداد اصحابه تعلقا بدين الاسلام بل ساعدت هذه المقاطعة على انتشار الدعوة بين القبائل العربية • كابد المسلمون كثيرا من الآلام والجوع والحرمان وكانت طول المدة التي قضاها بنو هاشم في ذلك الشعب بعيدين عن قريش ان بعثت في نفوس بعض القريشيين الرثاء لحال بني هاشم ومن معهم وكان أول من رثى لحالهم « زهير بن امية بن عاتكة » عمة الرسول (ص) وقد حرض قومه على الخروج على الصحيفـــة وقال لهم ـ يا أهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فعارضه أبو جهل فقام « المطعم بن عدى » الى الصحيفة فشقهـــا وبذلك نقضوا هذه الصحيفة فعاد بنو هاشم والمطلب الى مساكنهم •

خرج الرسول والمسلمون من هذه المقاطعـــــة التي لم تضعف من عزيمتهم فانصرف الرسول (ص) الى نشر الدعوة بين القبائل العربية ولكنه لم يصادف النجاح فعول على الذهاب الى الطائف لعله يجد من اهلها قبولا لدعوته وكان معه في هذه الرحلة زيد بن حارثة وبقي في الطائف عشرة ايام والتقى بزعمائها ولكنه وجد صدا بل وجد أكثر من الصدود فقـــد

حرض هؤلاء الزعماء سفهاء وصبيان الطائف على ملاحقة الرسول (ص) والتهجم عليه وضربه بالحصا فلجأ الى حائط قريب من الطائف حزين القلب مكسور الفؤاد وقال قوله المشهور « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني . الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ... » .

الهجرة الى يثرب

قبل الكلام على الهجرة يجدر بنا ان نتعرف على اوضاع واحوال يثرب وبيئتها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والدينية . سكنت يثرب **قبائل يهودية هاجرت اليها من فلسطين فرارا من اضطهاد الرومان في** القرن الاول الميلادي وقد سكن هؤلاء اليهود بعد أن اجلوا عنها العمالقة **وكانوا موزعين على قبائل ثلاث وهي « بنو قريظة » و « بنو النضير » و « بنو قينقاع » وبعد نزول اليهود بزمن قليل نزلت يثرب قبائل الازد من الأوس** والخزرج نازحة اليها من جنوب الجزيرة العربية وامتاز الأوس والخزرج بانهم كانوا شعبا صلب العود قويا وقد ظهرت تلك الشجاعة وتلك القوة في الحروب التي لم تهدأ ثائرتها ولم تنطفيء نارها بينهم وقد استطاعت هاتان القبيلتان التحكم في امور يثرب وان تنقل السلطة اليها من ايدي اليهود . وقد تكامل سلطانهم على يثرب في حدود القرن الخامس الميلادي الا ان هذا التحكم وهذه السيطرة قد تلاشت تدريجيا فعاد اليهود يفرضون نفوذهم ويسيطرون على الحرف والتجارة ويمتلكون الاراضي مستغلين انشغال الأوس والخزرج في تلك الحروب التي كانت تثار بينهم من حين واخر وقد انهكت الحروب قواهم وأضعفت تماسكهم وحسرت من نفوذهم حتى كان اليهود عند بدء انتشار الدعوة الاسلامية هم المالكين لاكثر اراضي

يثرب وكادت السلطة تفلت من ايدي العرب نهائيا لتحل في ايدي اليهود وقد انتشر اليهود في مناطق اخرى غير يثرب فكانوا في «فدك» و«تيما» و«وادي القرى »و«خيبر» .

كان وجود هؤلاء اليهود وهم اصحاب دين سماوي مما ساعد على نشر المبادىء الدينية ويقول «توماس ارنولد» في كتابه « الدعوةالى الاسلام» « وفي الحق انه كان لوجود اديان سماوية في يثرب لها كتب منزلة من عند الله كاليهودية فيها ذكر للوحي ووحدانية الله ثم عظمته وقدرته الشاملة والبعث والحساب وما بعدها من جنة ونار وغير ذلك كان كله من الاثر ما أضعف الوثنية في نفوس العرب النازلين بيثرب وجعلهم أقدر على فهم دعوة نبوة محمد (ص) من اهل مكة الوثنيين فقد كانت مثل هذه الفكرة غريبة عليهم كل الغرابة مبغضة الى نفوس القريشيين منهم خاصة » أضف الى ذلك ان اليهود كانوا يهددون الأوس والخزرج بظهور نبي تسود به اليهود ويتملكون البلاد لذلك بادر هؤلاء الى تصديق الرسول ليكونوا اسبق اليه من اليهود وحتى لا يجد اليهود المجال للتحكم والسيطرة الكاملة كما ان اليهود اخذوا يبثون الافكار الدينية ويفتحون اذهان الاوس والخزرج على أمور لم يكن يعرفونها كالبعث والحساب والجنة والنار وكان احبارهم يحدثون بهذه الاحاديث وقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية قال (قال ابن اسحق : حدثني صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد اخ بني عبد الاشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من اصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني الاشهل وانا في بردة مضطجع فيها بفناء اهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة ، والنار قال ـ فقال ذلك ـ لقوم اهل شرك اصحاب اوثان لا يرون ان بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ـ ويحك يا فلان او ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعدموتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال

ـ نعم والذي يحلف به ولود ان له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطينونه عليه بان ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال ـ نبي مبعوث من نحو هذه البلاد واشار بيده الى مكة واليمن فقالوا ـ ومتى ؟ قال ـ فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال ـ ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة ـ فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسولا وهو حي بين اظهرنا فامنا به وكفر به بغيا وحسدا قال فقال له ـ ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به) .

احترف اهل يثرب الزراعة لوفرة المياه وخصوبة **التربة وحذقوا بعض الحرف كالصياغة وصناعة الاسلحة** ولم يكونوا تجارا كأهل مكة لذلك لم يجدوا في الدعوة الاسلامية ما يخشونه منها اما اهل مكة فقد تسرب اليهم الخوف على مصير تجارتهم خاصة وان الرسول دعا الى نبذ عبادة الاصنام التي كانت كبرى اصنام العرب في الكعبة والتي يحج اليها العرب من كافة اقطار الجزيرة لذلك حرصت قريش حرصا شديدا على محاربة الرسول الذي يحارب هذه الاصنام والتي ان فقدتها مكة فسوف تفقد مركزها الديني بين العرب وتفقد تبعا لذلك احترام القبائل العربية ذلك الاحترام الذي كان يشمل تجارتها واموالها فلا يعتدي عليها احد اما يثرب فلم تكن تخشى لا على مركزها الديني او مركزها التجاري فالامر عندها سواء الى جانب هذه الامور امر آخر هو النزاع الذي طال امده بينهم فكانت المعارك تثار من حين لآخر مما انهك قواهم واضعف امرهم لذلك وجد المجتمع العربي في يثرب المجال لانتهاز هذه الفرصة اذ وجد اهلها في هذا الدين ما يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ويقضي على ما بينهم من تنازع وبغضاء كما وجدوا في شخصية الرسول بغيتهم المنشودة اذ عرفوه رجلا من اكرم بيوتات قريش وساداتها فهو اجدر ان يكون لهم زعيما بعد الذي وجدوه من

المتاعب في توحيد صفوفهم تحت زعامة رجل منهم كذلك صلة الرحم بين الرسول وبينهم تجعله اقرب الى نفوسهم فهو ابن عبدالله وام عبدالله من نبى النجار احد بطون الخزرج أضف الى ذلك فهو نبي يستطيعون ان يطاولوا به اليهود بما ينزل من وحي فهو الذي يستطيع ان يجمع الأوس والخزرج تحت لوائه وكانوا احوج الى ذلك بعد «يوم بغاث» أو «بعاث» الذي كان النصر فيه للأوس ولعل انهزام الخزرج يوم بعاث جعلهم اكثر استعدادا لقبول الدين الاسلامي حتى كانوا اسبق اليه من بني عمهم الأوس • هذه الامور كلها جعلت اهل يثرب يستجيبون للدعوة الاسلامية حتى يوحدوا كلمتهم ويجعلوا لقبائلهم مكانة مرموقة ولتنافس يثرب مكة في زعامة العرب وقد علموا بالدعوة الاسلامية وعرفوا ما كان يحدث بين الرسول وبين بطون قريش وما لاقاه المسلمون من عنت وقسوة وما حدث للدعوة من انتشار بين القبائل العربية وقد عرفت ذلك بصورة خاصة بعد ان ارسل الأوس وفدا الى مكة في السنة العاشرة من مبعث الرسول يلتمسون من قريش الحلف على قومهم من الخزرج فانتهز الرسول فرصة وجودهم ودعاهم الى الاسلام فأسلم بعضهم واعرض بعضهم الآخر •

اتصال الرسول بأهل يثرب :ـ

لما اشتد اذى قريش لرسول الله بعد وفاة عمه ابي طالب ولما لم يجد منهم استجابة لدعوته ولم يصادفه النجاح في الطائف عزم على ان يجد قوما اخرين يلتمس لديهم النصر والتأييد واستعدادا لقبول الدعوة فاخذ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب التي تأتي الى مكة يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثه به وكان حديثه معهم (يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى ابين عن الله ما بعثني به) وكان وراءه أبو لهب ينادي ـ يا بني فلان أن هذا يدعوكم أن تسلخوا

اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

لم يزل الرسول يدعو ويتصل بالقبائل حتى جاء نصر الله لاظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده فقد لقي الرسول رهطاً من الخزرج اراد الله بهم خيراً عند العقبة فسألهم رسول الله من انتم ؟ قالوا نفر من الخزرج فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنكم اليه وكان اليهود يهددون الاوس والخزرج بأن نبياً مبعوث قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فاجاب هؤلاء النفر دعوة الرسول وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله الى يثرب وكان عدد هؤلاء الذين اسلموا ستة نفر من الخزرج ومنهم اسعد بن زرارة وعفراء بنت عبيد فلما قدموا يثرب ذكروا لقومهم رسول الله ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله (ص) وفي الموسم التالي لذلك الموسم وافى مكة وذلك في السنة الثانية عشرة من البعثة اثنا عشر رجلا من أهل يثرب واجتمعوا مع الرسول في العقبة فبايعوه على بيعة النساء وفيهم الاوس والخزرج وكانت بيعتهم هي لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف قال الرسول - فان وفيتم فلكم الجنة واذا غشيتم في ذلك شيئاً فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر وسميت ببيعة النساء لأن الرسول لم يشترط عليهم نصرته والحرب معه فلما عاد هؤلاء المسلمون ارسل الرسول معهم (مصعب بن عمير)

وامره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فكان يسمى المقرىء بالمدينة وكان يصلي بهم ذلك أن الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض وكان وجود مصعب بن عمير في المدينة ذا أثر كبير اذ اسلم على يديه أكثر أهل يثرب فقد اسلم (سعد بن معاذ) رئيس بني عبدالاشهل الذي هدد قومه الا يكلم رجالهم ونساءهم حتى يسلموا فاسلموا وسرعان ما اصبحت الرياسة له على الاوس والخزرج جميعاً وتبع ذلك اسلام كثير من أهل يثرب حتى لم يبق دار من دورها الا وفيه مسلمون ومسلمات وتلا ذلك خروج ثلاثة وسبعين رجلا من المسلمين وامرأتان في الموسم التالي أي سنة (١٣) من البعثة وكان أكثرهم من المسلمين الجدد وقد عزموا على أن يدعوا النبي للهجرة الى يثرب فبايعوه على انه نبيهم وزعيمهم في بيعة العقبة الثانية التي سميت ببيعة الرجال والتي اشترط فيها الرسول (ص) على المسلمين الجدد النصر والتأييد ومما قال لهم ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده وقال ــ نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا محمد فنحن والله ابناء الحروب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله أن بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم .. الدم الهدم .. الهدم . انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم ثم عقب بعض الانصار على كلام رسول الله (ص) يشددون البيعة ويؤكدونها ويحذرون عشائرهم من التخاذل أو التحول عن هذه المبايعة قال أحدهم وهو العباس بن عباده الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على مم تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا انهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله أن فعلتم خزي الدنيا والاخرة

وان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا ـ فاننا نأخذه على مصيبه الاموال وقتل الاشراف ثم قالوا فما لنا بذلك يا رسول الله أن نحن وفينا بذلك قال . الجنة قالوا . ابسط يدك فبسط يده فبايعوه ثم اختار من بينهم اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ليكونوا رؤساء عليهم وليكونوا على قومهم بما هم فيه .

ذعرت قريش لما تناهى الى سمعها انباء هذه المبايعة فاتصلوا بأهل المدينة يستفسرون منهم صحة ما سمعوه ولكن أهل المدينة من غير المسلمين انكروا ما حدث اذ لم يكن لهم بها علم ولكن قريشاً لم تطمئن أو تهدأ بل اخذت تقسو وتشتد في اذاها للمسلمين عند ذلك فكر الرسول بالهجرة وطلب الى اصحابه أن يهاجروا الى المدينة لما وجد من اهلها من تجاوب وقبول لدعوته وهو الذي فكر في الهجرة ونفذها الى الحبشة ثم حاول تنفيذها الى الطائف على أن يجد عن مكة بديلا في تقبل دعوته وفي نموها وانتشارها عند ذلك فكرت قريش في اغتياله والقضاء عليه وائتمروا أن يجمعوا لقتله عدداً من الشبان كل شاب يمثل بطناً من بطون قريش حتى لا تستطيع بنو هاشم الاخذ بثأره .

أخبر الرسول (ص) صاحبه ابا بكر بامر الهجرة وان الله أمره بالهجرة الى يثرب وكان الرسول قد طلب الى اصحابه بالهجرة فخرجوا مستخفين عن انظار قريش الا ما كان من أمر عمر بن الخطاب (رض) خرج من مكة على مسمع ومرأى ن اهلها يتحدى من يلحق به ولكن لم يجرؤ أحد على منعه أو اللحاق به وهكذا خرج أكثر المسلمين ولم يبق الا من كان محبوساً أو مقيداً أو مريضاً وآخر من هاجر الرسول وصاحبه أبو بكر اذ خرجا سوية وابقى الرسول في فراشه علي بن ابي طالب (رض) ليوهم قريش الذين ائتمروا على قتله وتجمعوا حول الدار ليقتلوه عند خروجه ولكنه خرج دون ان يلحظه أحد ثم ان الرسول وابا بكر لجئا

الى غار ثور في اسفل مكة وكانت اسماء بنت ابي بكر تزودهم بالطعام والماء وعبدالله بن ابي بكر ينقل اليهم اخبار مكة فذعرت قريش وراعها ما حدث فاخذت تقتفي أثر الرسول وجعلت مكافأة مئة ناقة لمن يدلهم عليه أو يأتي به حتى وصل المقتفون من قريش الى الغار الذي به الرسول وصاحبه ولكنهم وجدوا يمامة راقدة على بيضها ووجدوا العنكبوت قد نسج نسيجه على باب الغار وقد اشار الله تعالى الى ذلك بقوله :ـ

(ان تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) .

بعد مرور ثلاثة أيام قضاها الرسول وابو بكر في الغار خرجا متجهين الى المدينة وقد ساروا في طريق غير مألوف تفادياً من ان يلحقهم من يقفوا اثرهم من القريشيين ممن كان يطمع في الحصول على الذي قررته قريش لمن يأتي به فوصلوا قباء وهي احدى ضواحي المدينة ظهر يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول بعد مسيرة ثمانية أيام فأسس بها الرسول مسجداً واقام بها ثلاثة أيام ثم لحق به علي بن ابي طالب بعد ان ادى عن الرسول ماكان للناس عنده من ودائع ثم خرج الرسول من قباء متجهاً الى يثرب يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الاول ومعه جماعة كبيرة من المسلمين وادركته الصلاة وهو في الطريق فاقام صلاة الجمعة وهي أول صلاة جمعة في الاسلام وخطب المسلمين ودخل المدينة راكباً ناقته القصواء يوم السادس عشر من ربيع الاول الموافق ٢٤ ايلول سنة ٦٢٢م وكان عمر الرسول ثلاثاً وخمسين سنة .

حاول الانصار أن يستضيفوا الرسول ولكنه أمر ان تترك الناقة تسير حتى بركت امام دار ابي أيوب الانصاري فنزل

بجواره ثم ارسل الى مكة من احضر له أهل بيته •

استقبل أهل يثرب الرسول واصحابه المكيين الذين هجروا وطنهم من اجل دينهم استقبالا حماسياً رائعا وابدلوا اسم مدينتهم يثرب فدعوها مدينة الرسول أو المدينة وجاءت الهجرة فاتحة دور جديدة من ادوار حياة النبي فهي أخر الحقبة المكية وأول الحقبة المدنية هجر محمد (ص) بلدته التي نشأ فيها مهاناً مرفوضاً وقدم يثرب زعيماً مكرماً وهكذا غادر الرسول مكة متحملا كل ألم في سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة دينه •

تعتبر الهجرة أول حادث تاريخي عظيم فقد كانت محوراً لتغيير مجرى الحوادث وبداية لذلك النصر العظيم الذي ناله الاسلام على الوثنية وغيرها من الديانات وجعل عمر ن الخطاب هذه الحادثة بداية للتاريخ الهجري •

تنظيم المدينة

وصل الرسول الكريم (ص) يثرب التي اصبحت منذ ذلك الحين تعرف باسم المدينة وقد شعر بان عليه واجبات هامة أولاها مسألة المهاجرين ثم مسألة اليهود وكذلك الاوس والخرج فالمهاجرون الذين تركوا ما يملكون فراراً بدينهم كان لابد أن يجد الرسول لهم حلاً لتثبيت حياتهم ومعاشهم كذلك اليهود الذين كانوا يساكنون الاوس والخزرج وهم أهل كتاب فقد حاول الرسول أن يرتبط معهم بحلف ولكنهم خانوا الحلف نخرجوا منها تباعاً كذلك هناك الاوس والخزرج الذين اصبح اسمهم (الانصار) لانهم نصروا الرسول وايدوه هؤلاء الذين كانت تعصف بهم الخصومات والمنازعات وتأكلهم الفوضى وتهد من كيانهم الاثرة والانانية لذلك فكر الرسول الذي جاء لاعلاء كلمة الله ونشر دينه والذي لم يفكر

بالثراء أو الرئاسة كما كانت تظن قريش أو الذين لم يؤمنوا من أهل المدينة بل عمد الرسول على وضع نظام جديد لاحلال الهدوء والاستقرار وتآلف القلوب وازالة البغضاء والشحناء وعلى كل ما كان يثار بينهم من فتن وحروب • فنظم الادارة على اساس قويم صالح فوضع الصحيفة التي قضى بها على الخصومات الدموية جميعاً وعلى الفوضى والفتن وجعل **اليهود في مستوى واحد مع المسلمين على شرط أن يلتزموا بمساعدة المسلمين** في الدفاع عن كيان المدينة ضد المعتدين وبذلك أصبح الرسول هو الرئيس الاعلى للمدينة يتولى امرها ويشرع لها من النظام والقانون ما يكفل ادارتها وجعلها نواة لامة جديدة تربطها رابطة جديدة هي رابطة الدين لتحل محل الرابطة القديمة وهي الرابطة القبلية ولابد لنا من أن نذكر هنا نص الكتاب أو الصحية التي وضعها الرسول (ص) لترصين مجتمع المدينة ودمج فئاته المختلفة ووادع فيه اليهود وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم وشرط لهم واشترط عليهم •

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا كتاب من محمد النبي - ص - بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم • انهم امة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم [1] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم [2] **بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون** معاقلهم الاولى كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وبنو الحارث وبنو جشم وبنو النجار يتعاقلون معاقلهم الاولى كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط

---

(١) الحال التي كانوا عليها فيما يخص الدماء والديات •

(٢) العاني - الاسير •

بين المؤمنين ... وان المؤمنين لا يتركون مفرجاً[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقد وان لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى وسيعة[2] ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن ايديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم) ولا تقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافر كافرا على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فانله النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا يعاقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء[3] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط[4] مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به[5] الا أن يرضى ولي المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف[6] ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد (ص) وان اليهود ينفقون مع[7] المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بني عوف امة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم

---

(١) المفرح الذي يفرج الكربه .
(٢) العظيمة .
(٣) يمنع ويكف .
(٤) قتله في غير جناية .
(٥) يؤخذ به اي يقتل .
(٦) عذر وشفاعة .
(٧) يذهب يحارب .

فانه لا يوتغ[1] الا نفسه واهل بيته وانه يهود بني النجار مثل ما ليهـود بني عوف ان وليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف وان ليهـود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف وان يهود بني ثعلبة مثلما ليهود بني عوف الا من ظلم واثم فان لا يوتغ[2] الا نفسه واهل بيته وان جفنه بطن من ثعلبه كانفسهم وان لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الأثم وان موالي ثعلبه كأنفسهم وان بطانه يهود كأنفسهم وانه لا يخرج منهم أحد الا بأذن محمد وانه لا ينحجر على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته الا من ظلم وان الله على أبر هذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة وان بينهـم النصح والنصيحة وان النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون[3] مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله (ص) وان الله على انقى ما في هـــذه الصيحفة وابره وانه لاتجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دمم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وان يهود الأوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة) .

وهكذا أوجد محمد (ص) مجتمعا موحدا فقد وحد بين المسلمين على اختلاف قبائلهم وجعل منهم امة واحدة ترتبط برباط الدين وفضل صلة

---

(١) يهلك .

(٢) يهلك .

(٣) يحاربون .

الدين على أي صلة أخرى واوجب على هذه الجماعة السهر على مصالح المجموع والمحافظة على الأمن والأستقلال والدفاع عن حرمة المدينة ضد من يحاول الأعتداء عليها كما ان الرسول ساوى بين المسلمين واليهود في الحقوق وكذلك في الواجبات التي تحتم على المسلمين الايفاء بها وكذلك تلزم اليهود بالتقيد ما ألزموا به .

بعد أن وضع الرسول هذه الوثيقة التي جعلها أساساً لحكومته الجديدة في المدينة والتي بموجبها أصبح زعيماً دينيا ودنيويا للمسلمين ولأهل المدينة كافة وقائدا لهم وأصبح هؤلاء المسلمون لا يعترفون بسلطان غير سلطانه وهكذا باشر الرسول سلطة زمنية ترتكز على أساس جديد هو الرباط الديني الذي يقوم مقام رابطة الاسرة والدم وبهذا أصبح الاسلام نظاما سياسيا بقدر ما هو نظام ديني .

اتجه الرسول بعد ذلك الى رعاية أمور المهاجرين الذين لم يحمل أكثرهم الا القليل من الزاد والمؤن ولم تكن لهم دور في موطنهم الجديد فآخى بين المهاجرين والانصار قائلا لهم - تآخوا في الله أخوين أخوين . وكان عدد من آخى بينهم تسعين رجلا خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الانصار على أن يتوارثوا دون ذوي الارحام وقد انقطعت المواخاة بالميراث بعد معركة بدر حيث نزلت الآية الكريمة : (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم). ثم عمل الرسول (ص) على اقامة مسجده ليكون مصلى للمسلمين ومركزا لاجتماعاتهم وقد شارك المسلمون جميعا في بنائه حتى الرسول وكان المسلمون يجتمعون فيه للصلاة لا ينادي بها أحد فيهم فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم - اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم - اتخذوا بوقا مثل قرن اليهود فقال عمر أولى أن تبعون رجلا ينادي بالصلاة . فقال الرسول - يا بلال قم فنادي للصلاة واذا جاء وقت الصلاة يقول بلال - الصلاة جامعة ثم أوحي الى الرسول بصيغة الاذان المعروفة

الان ثم أصبحت الصلاة أربعا بعد أن كانت اثنتين وغيرت القبلة من القدس الى الكعبة في السنة الثانية للهجرة كما نزل الامر بصوم شهر رمضان في هذه السنة أيضا .

نشط الرسول بعد أن وطد الامر في المدينة الى نشر الدين في نفوس أصدقائه وأتباعه وخاصة من الانصار ثم سمي هذا الدين «الاسلام» لما فيه من الانقياد والخضوع المطلق لارادة الله تعالى والذين يدينون به « المسلمون » أي الذين يخضعون لامر الله ورسوله .

الجهاد في سبيل الله

عندما انتهى الرسول من تنظيم المدينة اتجه الى الناحية الخارجية وتنظيم علاقته ببقية أجزاء الجزيرة العربية وكذلك لوضع خطة تجاه أهل مكة من المشركين وقد رأى الرسول أن أهل مكة غير تاركيه وشأنه لذلك عزم على وضع خطة لسياسته الخارجية مع القبائل المسالمة أو مع الذين يناصبوه العداء .

كان الحرب والجهاد احدى هاتيك الاسس التي ارتكزت عليها سياسته الخارجية وقد أمر الله نبيه والمسلمين بالجهاد في سبيله بقوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) ، (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) . (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل) . (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) .

وهكذا أمر الرسول أن يقف من المشركين ومن أعداء الله موقفا

حاسما لا لين فيه ولا تسامح وان يتحول عن ذلك الاسلوب الذي اتبعه في بداية أمره يوم كان ضعيفا يدعو بالحجة والبينة ولكن اليوم غير الامس يوم قوة متنامية يستطيع بها كسر شوكة الكفر والضلال ولكن هذا لا يعني أن الاسلام يجبر الناس على اعتناقه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) • فقد انتشر الدين الاسلامي عن طريق آخر هو طريق الوضوح ومسايرته للروح البشرية واتسامه بالبساطة وقلة التعقيد الا أن تشريع الجهاد والامر به كان من مستلزمات الدولة والدين في سبيل الدفاع عن النفس ضد المعتدين والدفاع عن النفس حق شرعي لكل انسان والدفاع عن النفس يتبعه تأمين الدعوة والدفاع عنها أمام من يقف في سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول في الاسلام الفتنة عن دينه لذلك كان الجهاد أمرا محتما تستدعيه ضرورات الحياة ومستلزمات الدولة ولما كان الاسلام دين ودولة خلافا للاديان الاخرى فهو بحاجة الى قوة تدعمه ويستند عليها لان أعداء الفكر السامية وأعداء التطور والتجديد كثيرون لا يمكن قهرهم بالحجة والبينة فقط ، بل يجب أن تكون القوة عنصرا رئيسا ضد من يحاول الاعتداء أو طمس تلك الفكرة لذلك أمر الله المسلمين أن يقاتلوا المشركين أيا كانوا (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ولم يقتصر القتال على المشركين فقط ، بل تعداه الى أهل الكتاب والذين وقفوا موقفا عدائيا من الاسلام فقد حارب الرسول اليهود وهم أهل كتاب لانهم خانوا العهد فأمر الرسول بقتالهم (وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) وهكذا أصبح الجهاد فرضا على المسلمين لدفع العدوان عنهم فقال تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) • (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) •

الغزوات والسرايا

خرج الرسول (ص) من مكة مهاجرا الى المدينة بعد أن يئس من أهلها واستجابتهم لدين الاسلام فلما استقر في المدينة رأى لزاما عليه أن يتعقب قريشا بالقوة بعد أن أعيته الحجة والبينة ورأى أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي تنهي ذلك النزاع لانه اعتقد أن اسلام قريش سيتبعه أسلام القبائل العربية كذلك رأى أنه لا يستطيع أن ينطلق في نشر رسالته ما لم يأمن جانب قريش ورأى أن خير وسيلة لاضعاف قريش والقضاء عليها محاربتها في تجارتها التي هي عماد حياتها الاقتصادية فأخذ يتعرض لقوافلها التجرية بارسال السرايا وقيادة الغزوات وكانت أول غزوة هي غزوة (الابواء) أو ودان ثم أرسل الرسول سرية عبيدة بن الحارث ثم سرية حمزة الى سيف البحر[1] كما خرج في غزوة (بواط) يريد قريشا ثم غزوة العشيرة ثم سرية سعد بن أبي وقاص ثم غزوة (سفوان) أو غزوة بدر الاولى ولم يحدث في هذه السرايا والغزوات قتال بين المسلمين والمشركين من قريش الا أن لهذه الغزوات أثرها في نفوس أصحاب الرسول ورسوخ ثقتهم بقوتهم واشعار القبائل العربية بقوة المسلمين الذين لم تضعفهم هجرتهم الى المدينة كما وأن هذه الغزوات قد أدت الى اتصال المسلمين بالقبائل العربية وعقد بعض المحالفات مع تلك القبائل ثم كانت سرية عبدالله بن جحش وهي أول سرية جرى فيها قتال بين المسلمين وقريش وقد أسر المسلمون عددا من رجال قريش وأتوا بهم الى الرسول فقال لهم الرسول ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام • فأسقط في أيديهم وظنوا أنهم خالفوا تعاليم الاسلام ولكن الله أنزل قوله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) •

---

(١) الساحل •

غــزوة بدر الكبرى

في رمضان في السنة الثانية للهجرة علم الرسول بأن قافلة كبيرة لقريش يقودها أبو سفيان قادمة من الشام اشتركت قريش كلها في هذه القافلة حتى لم يكن بيت من قريش الا وله فيها شيء • فأرسل الرسول نفرا من المسلمين لاعتراض هذه القافلة فاستنجد أبو سفيان بقريش وفي نفس الوقت اتخذ أبو سفيان طريقا محاذيا لساحل البحر ووصل مكة دون أن يفقد شيئا من تجارته وكانت قريش قد لبت نداء أبي سفيان فخرج عدد كبير من أهلها وفيهم عدد من زعماء قريش منهم (أبو جهل) والعباس عم النبي و (عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة) وأمية بن خلف وقد بلغ عددهم ٩٥٠ رجلا ومعهم مائة فرس وسبعمائة من الابل غايتهم أن يحولوا دون وقوع القافلة بيد الرسول وقبل وصولهم الى قرب المدينة وصل اليهم خبر وصول القافلة الى مكة سالمة فحاول بعض زعماء قريش الرجوع ما دامت القافلة قد وصلت لكن أبا جهل ومعه عدد من زعماء قريش أصروا على محاربة محمد (ص) حتى لا يفكر ثانية في مهاجمة قوافلهم فوصلوا ماء بدر القريب من المدينة وكان الرسول (ص) قد خرج مع أصحابه وقد بلغ عدد المسلمين (٣١٤) رجلا ودارت رحى حرب غير متكافئة في العدد الا أن الله هزم المشركين ونصر محمدا (ص) وأصحابه وقتل من قريش سبعون رجلا منهم أبو جهل وأمية وعتبة وشيبة وقتل من المسلمين أربعة عشر فقط وكان تاريخ هذه المعركة يوم(١٧) رمضان من السنة الثانية للهجرة ونزلت الآيات في هذه المناسبة (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) والآية الثانية (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) •

لقد انتصر المسلمون في هذه المعركة التي هي أول حرب جديـة بين المسلمين وقريش وكان نصرا حاسما هز قريشا والقبائل العربيـة

الاخرى التي أظهرت مدى تمسك المسلمين بدينهم واستبسالهم في الدفاع عنه كما أظهرت هذه المعركة أن المسلمين أصبحوا قوة لها مكانتها في الجزيرة العربية أضف الى ذلك أن المسلمين شعروا بقوتهم فزادت ثقتهم بأنفسهم وتمسكهم بدينهم والتفافهم حول زعيمهم وقائدهم ونبيهم محمد (ص) وأطلق المسلمون على هذه الغزوة (غزوة الفرقان) لان الله فرق فيها بين الحق والباطل .

تأثرت قريش بهذه الهزيمة وقد قتل فيها عدد من كبرائها وكسرت شوكتها وضاعت هيبتها بين العرب لذلك صممت على الاخذ بثأرها فرصدت أموال القافلة - أي قافلة أبي سفيان - للانتقام من محمد وأتباعه وفي هذه الغزوة نزلت عدة آيات قرآنية توضح للرسول كيفية معاملة الاسرى وكيفية اقتسام الغنائم فقد اختلف المسلمون في ذلك محاولا كل منهم أن يستولى على ما غنمه من الاسلاب فنزلت الآية الكريمة (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) . (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله وللرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) .

وهكذا قسم الرسول الاسلاب على من اشترك في قتال بدر فعلا أو الذين أوكل اليهم الرسول بعض الاعمال كعثمان بن عفان الذي بقي في المدينة يمرض زوجته رقية بنت الرسول وكذلك زيد بن حارثة وابنه اسامة بن زيد اللذين أبقاهما الرسول في المدينة كما أعطى الذين كانوا يحرسونه أثناء القتال .

كان هذا النصر قد خلق للرسول أعداء وحسده في المدينة أولئك الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم وهم المنافقون وكذلك اليهود فأخذ هؤلاء جميعا يكيدون للرسول الا أن الرسول شعر بذلك

الخطر فأخذ يحتاط منهم ومن دسائسهم واخيرا نجح في القضاء على مشركي مكة كما قضى على أعدائه في المدينة تدريجيا .

غزوة أحـــد

السنة الثالثة للهجرة

كانت خسارة قريش عظيمة في معركة بدر فقد فقدوا عـددا من زعماءهم وابناءهم فصمموا على الاخذ بثأرهم من المسلمين والانتقـام منهم فمشى عبدالله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وعـدد من كبـار قريش فكلموا أبا سفيان الذي كان قد عاد مع قافلته ومن كانت له في تلك القافلة من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا فجمعوا لحرب رسـول اللـه ثلاثـة آلاف رجـل من قـريش والاحابيش وكنانة وعرب تهامة ومعهم القيان والنساء على رأسهن هـنـد بنت عتبة زوجة أبي سفيان ليحرضن الرجال على القتال وخرجوا يريدون محمدا والمسلمين فاتجهوا الى المدينة وكان الرسول قـد عرف بمسير قريش عن طريق عمه العباس فاستشار أصحابه في لقاء قريش هل يخرج اليهم أم يبقى في المدينة وكان رأي شباب المسلمين الخـزرج الى خارج المدينة اما رأي الرسول وبعض كبار الصحابة فكان البقاء داخـل المدينـة لينتفعوا من أزقتها ومساعدة النساء والصبيان ليقذفوهم بالحجارة من أعلى سطوح المنازل وكان رأي عبدالله بن أبي بن سلول هو هذا الرأي وهو زعيم المنافقين ولكن الرأي الاول غلب عـلى الرأي الثاني فخـرج المسلمون يقودهم رسول الله (ص) وكان عددهم ألف رجل رجع ثلثهم مع عبدالله بن سلول بحجة ان الرسول لم يستمع الى رأيهم واستمع الى رأي الشبان وقال عصاني واتبع الولدان وكان رجوع هـؤلاء وامتناعهم عن الاستمرار مع الرسول أثر كبير في عزيمة المسلمين وكادت أن تتفرق كلمتهم وتتمزق

وحدتهم فنزل قوله تعالى (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) استمر المسلمون حتى وصلوا جبل أحد فنزل رسول الله الشعب من جبل أحد وعسكر على سفحه المواجه للمدينة والمنحدر الى بطن الوادي الذي عسكرت فيه قريش فاحتمى الرسول بالجبل وجعل الرماة على جبل صغير أمام أحد يعرف الى الان بجبل (الرماة) وأوصاهم بألا يتركوا مكانهم مهما كانت نتيجة القتال وأمر على هؤلاء الرماة عبدالله بن جبير ثم التحم الجيشان وكانت الغلبة أول الامر للمسلمين فانهزم المشركون ونزل الرماة فشغل المسلمون بجمع هذه الاسلاب وشارك الرماة اخوانهم مخالفين بذلك أمر قائدهم عبدالله بن جبير فاستغل (خالد بن الوليد) الفرصة وكان على خيل قريش وهاجم المسلمين من خلفهم فذعر المسلمون واختل نظامهم فاستغل المشركون هذا الاضطراب وعادوا الكرة فقتل عدد من المسلمين حتى شاع بين المسلمين أن الرسول قتل وكان عدد من المسلمين قد أحاطوا بالرسول يدافعون عنه ويتلقون سهام المشركين بصدورهم حتى أن (طلحة بن عبيد الله) أصيب بأربعين سهما وقد قال فيه رسول الله (من سره أن ينظر الى رجل يمشي على الارض قد قضى نحبه فلينظر الى طلحة) . تخاذل المسلمون واستولى اليأس على قلوبهم واستقتل فريق منهم اذ وجدوا أن لا قيمة للحياة بعد الرسول الا أن المسلمين عرفوا أخيرا أن الرسول لم يمت ، وانما أصيب بجرح وقتل في هذه المعركة أكثر من سبعين رجلا منهم (حمزة بن عبدالمطلب) قتله وحشي غلام (جبير بن مطعم) وقد بعثه مولاه مع قريش وقال له ان قتلت حمزة فأنت عتيق وقد مثلت نساء قريش بقتلى المسلمين حتى أن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها حتى اذا عجزت عن أكلها لفظتها .

جمع المسلمون قتلاهم فصلى عليهم الرسول ودفنوا وعاد الى المدينة

أما المشركون فقد اكتفوا بهذا النصر ولم يحاولوا اللحاق بالمسلمين واحتلال المدينة •

استفاد المسلمون في هذه لوقعة أنفع الدروس وأبعدها في حياتهم المستقبلة اذ كانت أول انهزام حربي حل بهم بعد تلك الانتصارات التي اعتادوها كما كشفت للمسلمين عن مبلغ ايمان المنافقين وكيف تخاذلوا عن نصرة المسلمين كما كشفت هذه المعركة المسلمين أمام القبائل وأظهرتهم بأنهم ضعاف يسهل التغلب عليهم وهكذا استهانت قريش بالمسلمين حتى أنها جاءت لغزو آخر للقضاء نهائيا على المسلمين ، هذه الغزوة هي غزوة الاحزاب أو الخندق •

غزوة الاحزاب ـ الخندق

(السنة الخامسة للهجرة)

انتصرت قريش على الرسول وأصحابه يوم أحد وكان هذا النصر مشجعا لهم على اعداد العدة للقضاء نهائيا على الرسول والمسلمين كما أن انتصار قريش هذا قد شجع القبائل العربية على الاستهانة بالمسلمين فأخذوا يكيدون لهم ويخدعونهم ويعتدون عليهم من ذلك ما صنعت قبيلتا عضل والقارة (يوم الرجيع) وقد طلب هؤلاء من الرسول أن يرسل معهم نفرا من المسلمين ليعلموهم الدين فأرسل الرسول ستة من أصحابه قتلوا جميعا بيد هؤلاء كما قتل أربعون من المسلمين في حادثة (بئر معونه) اذ قتلوا في أرض نجد حيث عدا عليهم أهلها وكان عمل القبائل هذا هو مجاملة لقريش وتقربا وانتقاما لدينها الوثني • كذلك نقض يهود (بني النضير) المعاهدة التي كانوا قد عقدوها مع الرسول وحاولوا قتله فاضطر الرسول الى اجلائهم عن المدينة فانحازوا الى خيبر وأخذوا يحرضون الكفار من قريش وغيرهم ضد الرسول فاتفقت القبائل العربية مع (بني النضير)

للسير الى المدينة والقضاء على محمد وأتباعه وعندما علم الرسول بمسيرهم استشار أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه بحفر خندق فتعاون المسلمون على حفره حتى كان الرسول يعاون في ذلك وقد بلغ عدد من اشتغل في حفره ثلاثة آلاف وكان الخندق شمال المدينة لان الجهات الاخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت وبلغ طوله اثنى عشر ألف ذراع فرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم أثناء العمل دون اذن الرسول ولكن المؤمنين دأبوا على الحفر حتى أكملوه وعندما أقبلت قريش والاعراب وفيهم من غطفان وكنانة وتهامة ويهود بني النضير في عشرة آلاف فنزلوا على بعد ثلاثة أميال من المدينة وخرج الرسول اليهم في ثلاثة آلاف وجعل الاولاد في الاطام والخندق بينهم وبين المشركين وكان قائد قريش أبو سفيان بن حرب فلما رأى بنو قريضة أن المسلمين أحيط بهم نقضت ما تعاقدت عليه مع الرسول ووالت الاحزاب فاشتد الكرب على المسلمين وظهر كثير من المنافقين الذين كان اسلامهم ضعيفا حتى قال أحدهم وهو (متعب بن قشير) كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط وأقام المشركون على حصار المدينة شهرا لم يكن بينهم وبين المسلمين الا المراماة بالنبل كان الرسول خلال ذلك يوصي المسلمين بالصبر ويخفف من آلامهم وأجرى الرسول مفاوضات سرية مع غطفان ليصرف هذه القبيلة عن قريش فيفت في عضدها وكاد الرسول أن ينجح في ذلك لولا تدخل زعماء المدينة الذين اعترضوا على الاتفاق والذي كان ينص على أن تستولي غطفان على ثلث غلة المدينة • استمرت الاحزاب في حصار المدينة وأظهر يهود بني قريضة غدرهم وخيانتهم فظهر في هذا الوقت رجل قام بدور كبير في سير الاحداث ، هذا الرجل هو (نعيم بن مسعود) الذي جاء الرسول مسلما وعرض عليه أن يؤدي عملا للاسلام فقال له الرسول خذل عنا فان الحرب خدعة فذهب نعيم الى بني قريضة ولم يكونوا قد

علموا باسلام نعيم وأخبرهم أن قريشا سوف تتركهم تحت رحمة الرسول وعليهم أن يأخذوا رهائن منهم ثم جاء الى قريش وأخبرهم أن بني قريضة ندموا على نقضهم عهدهم مع الرسول وأنهم سيطلبون منهم الرهائن لاعطائهم الى الرسول وعندما طلبت قريش من بني قريضة أن تفي بوعودها وتعلن حربها على الرسول قال اليهود أنهم لا يحاربون يوم السبت وطلبوا من قريش اعطاءهم رهائن فتأكدت قريش صدق كلام نعيم وثبت لها خيانة بني قريضة ثم هبت ريح صرصر عاتية اقتلعت أوتاد خيام الكفار فقررت قريش العودة بعد أن سئمت هذا الحصار الطويل الذي لم يكن يدخل في حسابها وهكذا رجعت القبائل تجر أذيال الخيبة والخسران وكان لهذا الاخفاق والخسران أثرهما البعيد في انتشار الاسلام بين قبائل العرب حيث ظهر لهم مدى قوة المسلمين وثبات وايمان الرسول وأصحابه بقوتهم وثقتهم بنصر الله كما عملت هذه الغزوة على بعث الثقة من جديد في نفوس المسلمين وأن الله ليس بتاركهم فهو يؤيدهم وينصرهم وما النصر الا من عند الله •

كما أظهرت هذه الغزوة مقدرة الرسول الحربية ومرونته السياسية اذ نفذ مشورة سلمان الفارسى بحفر الخندق وحفر الخندق من الاعمال الحربية التي لم تعرفه العرب من قبل حتى لقد دهشت قريش عندما رأت وقال قائلهم والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها • كما تجلت حنكة الرسول السياسية في مساومة غطفان ومحاولته التفريق بينها وبين قريش ثم التفريق بين بني قريضة وقريش ، هذا الى ما كان الرسول يبديه من صبر وما ضربه من مثل عليا في المحافظة على الروح المعنوية بين المسلمين • انتهت هذه الغزوة بجلاء المشركين عن المدينة ورجوعهم الى مواطنهم وبذلك انتصر المسلمون فاتجه الرسول الى ضرب بني قريضة الذين غدروا به ونقضوا العهد وهو في أحرج المواقف فانتقم منهم أشد الانتقام فقتل عامة المقاتلة منهم ثم خرج بعد ذلك لقتال بني المصطلق الذين كانوا

يضمرون له العداء فهزمهم ثم تزوج من (جويرية بنت الحارث) سيد بني المصطلق ليكون هذا الزواج تقاربا بين المسلمين وبين هذه القبيلة ثم حدث في هذه الغزوة نزاع بين رجلين أحدهما من المهاجرين والآخر من الانصار وكاد هذا النزاع أن يتطور الى حرب بين المهاجرين والانصار لولا تدخل الرسول ، وقد استغل هذا الحادث (عبدالله بن أبي بن سلول) زعيم المنافقين والذي حز في نفسه أن يفقد سلطانه على المدينة وخاصة أن الاوس والخزرج كادوا أن يتوجوه ملكا عليهم قبل مجيء الرسول فأخذ يفكر في خلق العداوة واشعال الحرب بين المهاجرين والانصار وقال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل • وسمع بذلك الرسول وأشار عمر بقتله ولكن الرسول رفض ذلك ثم لم يلبث أن جاء عبدالله بن أبي بن سلول الى الرسول معتذرا • وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الافك وهي أثناء عودة الرسول الى المدينة حدث أن السيدة عائشة زوجة الرسول قد تركت هودجها لتبحث عن عقدها الذي فقدته ولما عادت كانت القافلة قد رحلت دون أن يشعر بها الركب وظلت عائشة وحيدة في ذلك الطريق حتى وجدها (صفوان بن المعطل) وأوصلها الى منزلها • الا أن حاسدات عائشة وأعداء النبي اختلقوا الاشاعات غير البريئة حول ذلك الحادث العارض فتأذى النبي وجافى عائشة الى أن برأها الله مما أشيع حولها ونزلت الآية الكريمة :

« ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » •

ثم قال تعالى :

« اذا تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » •

صلح الحديبية

في سنة ستة للهجرة خرج الرسول للعمرة (والعمرة هي زيـادة البيت الحرام في غير موسم الحج) في ألف وأربعمائة من المسلمين وعندما اقترب من مكة خرجت قريش ومنعته من دخـول مكة فأرسل الرسـول عثمان بن عفان ليستطلع أنباء قريش ويقف على أسباب موقفها هذا وهـو الذي جاء ليعظم البيت ويؤكد للناس من مسلمين ومشركين احترامه للبيت الحرام وقد قبضت قريش على عثمان وحبسته ثم شـاع بين المسلمين أن عثمان قـد قتـل فتأهب المسلمون لقتـال قريش وبايعوا رسول الله بيعتهم المشهورة وهي بيعة الرضوان وقال رسـول الله ـ لا نبـرح حتى نناجـز القوم ـ ونزل قوله تعالى مشيدا بهذه البيعة حيث قال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) • وبينما كان المسلمون يستعدون لقتال قريش جـاء عثمان بن عفان وعرف المسلمون أنه لم يقتل وأبلـغ الرسول أن قريشـا تطلب اليه الرجوع هذا العـام ثم أوفدت قريش وفدا لمفاوضـة الرسول وكان هذا الوفد برئاسة (سهيل بن عمرو) وبعد مناقشة ومفاوضة اتفـق هذا الوفد مع الرسول على عقد (صلح الحديبية) وينص هذا الصلح على البنود التالية :

١ ـ أن تضع الحرب أوزارهـا بين المسـلمين وقريش مدة عشر سـنوات •

٢ ـ أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلما بدون اذن وليه •

٣ ـ لا تلتزم قريش برد من يأتي اليها من محمد •

٤ ـ من أحب الدخول في عقد قريش وعهدها فله ذلك ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه •

٥ ـ ان يرجع الرسول هذا العام من غير عمره على أن يأتي في العام التالي فيدخل مكة مع أصحابه بعد أن تخرج قريش ويقيم فيها ثلاثة أيام وليس معهم من السلاح الا السيوف في أغمادها .

قابل المسلمون هذه المعاهدة ببرود ورأوا فيها تساهلا من جانب الرسول وتشددا من ناحية قريش فقام عمر بن الخطاب وقال للرسول :

« ألست رسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال أوليسوا بالمشركين ! قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » .

كان الرسول سياسيا بعيد النظر في عقده هذا الصلح فقد أمن جانب قريش لمدة عشر سنوات وفتح المجال أمامه لنشر الدين الاسلامي في أنحاء أخرى من الجزيرة العربية وكان عليه السلام عبقريا في قبوله بعض شروط الصلح ليقينه بأنه اذا ذهب مسلم الى قريش ليرتد عن دينه فان الاسلام غني عنه وكان الرسول لا يهتم بدخول قريش وحدها في الدين ، بل كان يرمي الى نشر الاسلام في أنحاء أخرى وبين قبائل أخرى وقد ترك قريشا جانباً ليعزلها عن بقية القبائل كما أشعر الرسول قريشا بقوة المسلمين ومقدرتهم العسكرية واعتبر هذا الصلح نصرا عظيما للمسلمين فقد أدركت قريش أن أمر الاسلام ظاهر لا محالة وتأكد المسلمون من وعد الله بفتح مكة وقد ظن المسلمون أول الامر أن رجوعهم من غير العمرة هزيمة لهم وانتهاكا لكرامتهم الا أن الله عده نصرا وفتحا مبينا . قال تعالى وقد أنزل على رسوله سورة الفتح :

(انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ولينصرك الله نصرا عزيزا) .

كان من نتائج هذا الصلح أن سارع بعض القريشيين الى الدخول في الاسلام وقد لاحت لهم بشائر نصر الدين الاسلامي وكان أبرزهم (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص) .

موقف اليهود من الرسول

بعد أن استقر الرسول في المدينة عقد اتفاقا وكتب كتابا بين المسلمين من المهاجرين والانصار وبين اليهود • وكان اليهود موزعين على ثلاث قبائل هم : (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريضة) واشترط على اليهود شروطا كما أعطاهم بعض الحقوق ، الا أن هذا لم يكن رادعا لهم في اظهار عداوتهم للرسول فأخذوا يصرحون بالشك في رسالته بغيا وحسدا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسول الله منهم لان اليهود كانوا يرون أن النبوة لا تكون الا فيهم كما وجدوا في الدين الاسلامي وفي الرسول منافسا جديدا يوشك أن يقضى على نفوذهم وعلى زعامتهم الدينية التي كانوا يفخرون بها بين العرب وخاصة في المدينة باعتبارهم أهل دين سماوي وأن الله قد خصهم بالتوراة والعلم ، كذلك كان اليهود يذيعون بين العرب أن الله سوف ينصرهم بنبي آخر الزمان فمن اتبعه فسيكون له العز والنصر الى يوم القيامة ويتوعدون العرب باتباعه والانتصار به عليهم كان اليهود يكرهون محمدا وينظرون اليه والى دعوته بعين الخوف وازداد خوفهم بعد أن أخذ يزداد عدد الداخلين في الاسلام فأخذ أحبارهم يكثرون من القاء الاسئلة المحرجة على الرسول ويأتون باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه كما أنهم كانوا يداورون المسلمين •

فيما اذا سألهم مسلم عن شيء من أمور دينهم فيغيرون ويحرفون الكلم عن مواضعه ويخرجون للسائلين آراء بعيدة كل البعد عن الحقيقة التي سطرت في كتبهم غايتهم من ذلك كسب ود المشركين وادخال الشك في نفوس المسلمين وفي ذلك يقول الله تعالى ينعي عليهم موقفهم هذا : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في

الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) • (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) •

ومن الاسئلة التي كان يتعرض لها الرسول هي عن الولد وكيف يشبه اباه ؟ وكيف ينام (اي الرسول) وعن الاشياء التي حرمها اسرائيل على نفسه من المأكل والملبس وسؤالهم عن الروح واتهامهم سليمان ابن داود عليه السلام بالسحر وانه لم يكن نبيا وانما كان ساحرا فانزل الله تعالى قوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) • وانكارهم نبوءة عيسى عليه السلام وطلبهم من الرسول ان ينزل عليهم كتابا من السماء لان القرآن في رأيهم لا يشبه التوراة كذلك حاولوا احراجه عندما قدموا له ذلك اليهودي الزاني واليهودية الزانية ليوقع عليهم حكمه وقد امر الرسول برجمهم كما كانت تسري احكام اليهود في مثل هذه الحالة وقد حاول اليهود جهدهم احراج الرسول في هذه الامثلة وغيرها ليضعفوا ثقة المسلمين بدينهم لكن خبثهم ولؤمهم وكيدهم ارتد الى نحورهم ومع ذلك كان الرسول يجاملهم اول الامر ويصبر على اذاهم طمعا في اسلامهم لانهم اهل دين سماوي كذلك التزام الرسول بعقده معهم فكان يرفق بهم ويساوي بينهم وبين المسلمين ولم يكتف اليهود بما كانوا يفعلون مع الرسول بل اخذوا يحاولون احداث الفرقة والشقاق بين المسلمين فيذكرون الاوس والخزرج بما كان بينهم من نزاع وحروب غايتهم تفرقة وحدة المسلمين وقد باءت محاولاتهم هذه بالفشل لذلك عولوا على سلوك سبل اخرى للقضاء على المسلمين بالانضمام الى اعداء الرسول فلما وقعت معركة بدر الكبرى انضم (بنو قينقاع) الى الكفار من قريش ونقضوا عهدهم مع الرسول آملين ان تنتصر قريش فلما شعر الرسول بخطرهم وقد اعلنوا عن عداوتهم صراحة بانضمامهم الى قريش حصرهم في منازلهم وكانت منازلهم

داخل المدينة ولم تكن محصنة وقد دام الحصار نصف شهر انتهى بخضوع بني قينقاع لامر الرسول وهو مغادرة المدينـــة فخرجوا تاركين اموالهم وسلاحهم الى (اذرعات) في بلاد الشام وباخراج بني قينقاع من المدينـة خلت المدينة من اليهود لان (بني النضير وبني قريظة) كانوا بظاهر المدينة فتمت بذلك الوحدة السياسية للمدينة اما بنو النضير فقد ساءت علاقتهم مع المسلمين بعد معركة احد وقد حاولوا قتل الرسول فاعلن الرســول عليهم الحرب والحصار بعد ان كادوا يخرجون بدون حرب لولا اتصال (عبدالله بن ابي بن سلول) بهم وتحريضهم على القتال وابلغهم انه سوف يمدهم بالفين من الرجال وقد دام حصار الرسول لهم عشرين يوما وقد امر بحرق نخيلهم ليضعف من عزيمتهم ولما يئس بنو النضير من القتال طلبوا العفو من الرسول فجلوا عن المدينة وقسـمت اموالهم بين المســلمين وهكذا استراحت المدينة من بني النضير كما استراحت من قبل بجلاء بني قينقاع ولم يبق في المدينة الا بنو قريظة. انحاز بنو النضير الى خيبر بعد خروجهم من المدينة واخذوا يحرضون قريشا والقبائل العربية للقضاء على الرسول والمسلمين وقد نجح بنو النضير في جمع الاحزاب ودفعهم لمهاجمة المدينة فكانت معركة الخندق او الاحزاب وفي خلال ذلك الحصار الذي ضربته الاحزاب على المدينة اتصل يهود بني قريظة بالاحزاب معلنين وقوفهم الى جانبهم ضد الرســول وقد اثر موقفهم هذا في حراجــة موقف الرسول والمسلمين وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك فقــال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بمــا تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحنــاجر وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) .

وبعد جلاء الاحزاب عن المدينة اتجه الرسول الى ضرب بنى قريظة لانهم نكثوا العهد فحاصرهم قرابة خمسة وعشــرين يوما حتى خضعوا

لامره فاستسلموا ونفذ حكمه فيهم فقتل مقاتليهم وسبي نساءهم وذراريهم وقسم اموالهم بين المسلمين فقتل منهم سبعمائة رجل صبرا [1] وامرأة واحدة . وهكذا كان حكم الرسول على بني قريظة حكما عادلا لخيانتهم ونقضهم العهد وهو في احرج المواقف والخيانة في كل العهود وعند كل الامم قديما وحديثا جزاؤها الموت .

اتجه الرسول بعد ذلك الى اخضاع اليهود الذين كانوا ينزلون في (فدك وتيماء ووادي القرى وخيبر) وكانت خيبر اهم معقل لهم حيث التجأ اليها زعماء بني النضير واشرافهم وقد اخذ هؤلاء يعقدون المحالفات مع القبائل العربية ويحرضونها على محاربة الرسول فجهز الرسول جيشا قاده بنفسه يريد فتح خيبر وضرب عليها حصارا شديدا ودافع اليهود دفاع المستميت وقد لاقى المسلمون جهدا ومشقة من ذلك الحصار واخيرا استطاع الرسول احتلال خيبر الا انه عامل اهلها معاملة اخرى بأن ابقاهم في ارضهم على ان يدفعوا نصف غلة الارض الى المسلمين وكان فتح خيبر قد سهل على الرسول اخضاع (فدك) التي استسلمت دون قتال وعاهدت الرسول على مثل ما عاهدت عليه خيبر كذلك استسلمت تيماء اما يهود وادي القرى فقد قاوموا الا ان الرسول استطاع الانتصار عليهم وبذلك تمكن الرسول من القضاء على خطر هؤلاء اليهود واخضعهم لسلطانه بعد ان اشترط عليهم ان يخرجهم متى شاء من ارضهم وقد اخرجهم عمر بن الخطاب بعد ذلك فنزحوا الى بلاد الشام وقال لهم عمر (لا يجتمع دينان في الجزيرة) .

جرت هذه الحوادث في السنة السابعة للهجرة .

---

(١) اعدام .

رسل محمد (ص) الى الملوك والامراء

بعد ان ظفر الرسول باليهود وابعد خطرهم اخـــذ يفكر في دعوة الناس كافة الى الاسلام فارسل الرسل الى الملوك والامراء المجاورين لبلاد العرب مستغلا الهدنة التي اتفق عليها مع قريش • كان الرسول بعمله هذا مندفعا مع جوهر الدين الاسلامي الذي بشر به لينقذ الناس كافة عربا كانوا او غير عرب من الوثنية وعبادة الاصنام وليفتح امامهم طريق الحرية والنور والهداية فأرسل (دحية الكلبي) برســالة الى هرقل امبراطور البيزنطية وارسل (عبدالله بن حذافة السهمي) الى كسرى و (عمر بن امية الضمري) الى النجاشي و (حاطب بن ابي بلتعه) الى المقوقس امير مصر وارسل (سليط بن عمرو العامري) الى هوذن بن علي الحنفي امير بلاد اليمامة و(شجاع بن وهب) الى الحارث بن شمر الغساني و(العلاء بن الحضرمي) الى المنذر بن ساوي امير البحرين وقد لاقى بعض هؤلاء الرسل اعراضا وتحاملا من بعض هؤلاء الرؤساء والملوك والبعض الآخر لاقى ترحيبا وموادعة الا ان احدا لم يستجب للدعوة ولم يدخل في الدين الاسلامي • ولكن الغاية التي ابتغاها الرسول من وراء هـــذا العمل هو اشعار الملوك والامراء بقوة المسلمين ورغبة محمد باعتنــاق هؤلاء الملوك الدين الاسلامي لتقتدي بهم شعوبهم وبذلك يحقق الرسول هدفه السامي في هداية الناس وهو الذي بعث للناس كافة بشيرا ونذيرا •

ثم قام الرسول بعمرة القضاء وتنفيذا لاتفاقية الهـــدنة مع قريش فخرج مع الفين من المسلمين متجها الى مكة فلمـا علمت قريش بمسيرته خرجت وضربت خيامها على التلال المجاورة فدخل الرسول مكة وطـاف بالبيت وقد صاح المسلمون عندما اقتربوا من البيت بصوت واحد ـ لبيك لبيك ـ فكانت هذه مظاهرة عظيمة اثرت في نفوس بعض القريشيين الذين

سارعوا في الدخول الى الدين الاسلامي ٠

بعد عودة الرسول من مكة الى المدينة اخذ يرسل بعض القوات الى المناطق المجاورة لنشر الدين الاسلامي ومن هذه القوات قوة تتألف من ثلاثة آلاف رجل ارسلوا الى (مؤته) وقد ولى الرسول قيادتها (زيد بن حارثه) واوصى انه اذا اصيب زيد فجعفر بن ابي طـــالب واذا اصيب جعفر فعبدالله بن رواحة واذا اصيب عبدالله فيختار المسلمون احدا منهم ٠ سار هذا الجيش الى بلاد الروم وقد تجهز الروم لملاقاة المسلمين بجيش كبير وقد دارت رحى معركة غير متكافئة في العــــدد فقتل القواد الثلاثة بعد ان ابلوا البلاء الحسن وقتل عدد من المسلمين فتولى القيادة (خالدبن الوليد) الذي استطاع ان ينقذ الجيش من الفناء وقد لقبه الرسول (بسيف الله المسلول) لما ابداه من شجاعة وعبقرية في تخليص المسلمين وارجاعهم الى المدينة ٠

فتح مكة

كان الرسول بعقده صلح الحديبية انما رمى الى ايجاد هدنة بينه وبين قريش لعله يستطيع ان يأمن جانب قريش الواقفة له بالمرصاد فيسهل عليه نشر دينه وان يدعو الناس اليه ولكنه مع ما كان يرمي اليه رأى ان قريشا هي الدعامة الاساسية في انطلاق دعوته فأسلامها يفتح الباب لدخول بقية العرب وكان الرسول يأمل ان يفتح مكة ولكن صلح الحديبية كان يمنعه من ذلك وظلت الحال كذلك حتى كانت السنة الثامنة للهجرة اذ نقضت قريش هذا الصلح لوقوفها الى جانب حليفتها وهي قبيلة كنانة وعاونتها على خزاعة حليفة الرسول في حرب وقعت بينهما وارسلت خزاعة تستنجد بالرسول فأعلن ان صلح الحديبية نقض وانه سوف يتجه الى مكة لفتحها فسار اليها بجيش كثيف بلغ عدده عشرة آلاف من المسلمين وقبل ان يصل مكة التقى بعمه العباس الذي خرج من مكة يريد المدينة ويريد الدخول في الاسلام فأسلم ثم توسط العباس لدى الرسول لابي سفيان وكان صديقا حميما له والذي خرج لملاقاة الرسول قبل ان يدخل مكة فقبل وساطته واسلم ابو سفيان واكرمه الرسول اذ اعلن انه من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن .

دخل الرسول مكة من جهات متعددة فلم يلق مقاومة او جهدا ثم اتجه الى المسجد الحرام حيث طاف به سبع مرات ثم امر بازالة التماثيل والصور وهو يقول (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) كما امر بهدم العزى وبعض الاصنام الاخرى القريبة من مكة ثم اجتمعت قريش بين يديه فقال لهم (يا معشر قريش ماذا تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم .. قال فاذهبوا فانتم الطلقاء) .بهذا

عفا الرسول عنهم جميعا بعد ان انتصر عليهم انتصارا عظيما وعاد الى مكة التي خرج منها خائفا يترقب وقد طاردته وحاربته فيها رؤساء الكفر والضلال . واليوم وقد دخل منتصرا دخول الفاتحين فقضى على تلك العقبة الكأداء وازال تلك الاصنام واخلص بيت الله لله وحده فيه يتلى قوله ويقدس ذكره ويسبح باسمه .

كان فتح مكة ذا اثر كبير في انتشار الدعوة الاسلامية بين القبائل العربية التي كانت ترقب ذلك الصراع فلم تمض سنتان الا وكانت البلاد العربية كلها تدين بالاسلام ودالت بذلك دولة الكفر والضلال .

اتجه الرسول بعد فتح مكة الى محاربة هوازن وثقيف والتي تجمعت بزعامة مالك بن عوف النضرى وقد جمع هذا النساء والاطفال وراء الجيش حتى يمنع قومه من الفرار والتقى مع المسلمين الذين كان عددهم اثنا عشر الفا يقودهم الرسول وكانت معركة (حنين) وقد فر المسلمون اول المعركة ولكن الرسول ثبت مع قلة من المسلمين ونادى الرسول (اين ايها الناس هلموا الي انا رسول الله محمد بن عبدالله) فتسارع المسلمون نحو الرسول واستبسلوا في القتال حتى احرزوا النصر وتقهقر الكفار الى الطائف تاركين اموالهم ونساءهم واولادهم الذين وقعوا اسرى بيد المسلمين وقد اشار القرآن الكريم الى هذه المعركة وفرار المسلمين اول الامر حيث قال :

« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » .

اتجه الرسول بعد انتصاره في حنين لمحاصرة الطائف وقد تجمعت فيها فلول المنهزمين من هوزان وثقيف وضرب الحصار عليها واستعمل

المنجنيق لاول مرة في ضرب مدينة الطائف وقد استطاع الرسول فتحها بعد ان قاومت مقاومة عنيفة . وبانتصار الرسول في الطائف تكون آخر عقبة في الحجاز قد زالت فلم يعد هناك ما يخشاه الرسول ثم قادالرسول غزوة الى تبوك في السنة التاسعة لمحاربة القبائل العربية التي تجمعت على حدود فلسطين وقد صالح اهلها ثم ارسل خالد بن الوليد الى (دومة الجندل) ففتحها وعاد الرسول الى المدينة ليستقبل الوفود العديدة التي جاءت لتعلن اسلامها واسلام قبائلها فسمي ذلك العام بعام الوفود وفي السنة العاشرة حج الرسول حجة الوداع ولما عاد الى المدينة انتابته الحمى فتوفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الاول في السة الحادية عشرة من الهجرة المصادف ٦٣٢ ميلادية . وله من العمر ثلاث وستون سنة .

المراجـــع

١ ـ السيرة النبوية	ابن هشام
٢ ـ تاريخ الامم والملوك	ابن جرير الطبري
٣ ـ الاغاني	لابي الفرج الاصفهاني
٤ ـ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء	حمزة الاصفهاني
٥ ـ الطبقات الكبرى	لابن سعد
٦ ـ المغازي	الواقدي
٧ ـ المعارف	لابن قتيبة
٨ ـ تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
٩ ـ امتاع الاسماع	المقريزي
١٠ـ الاصابة في معرفة الصحابة	ابن حجر العسقلاني
١١ـ معجم البلدان	ياقوت الحموي
١٢ـ الاعلاق النفيسة	لابن رسته
١٣ـ تاريخ العرب القديم	جماعة من المستشرقين
١٤ـ تاريخ العرب المطول	فليب حتى
١٥ـ تاريخ العرب قبل الاسلام	جواد علي
١٦ـ تاريخ العرب قبل الاسلام	محمد مبروك نافع
١٧ـ مختصر تاريخ العرب	سيد أمير علي
١٨ـ مروج الذهب	المسعودي
١٩ـ بلوغ الارب في معرفة أحـــوال العرب	الالوسي
٢٠ـ تاريخ الاسلام السياسي	حسن ابراهيم حسن
٢١ـ التاريخ الاسلامي العام	علي ابراهيم حسن
٢٢ـ محاضرات في تاريخ العرب	صالح أحمد العلي
٢٣ـ حياة محمد	محمد حسين هيكل
٢٤ـ الدعوة الى الاسلام	توماس ارنولد

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٨	منها	حذف الكلمة
٤	٢٢	الاحتلاط	الاختلاط
٦	٢١	المجورة	المجاورة
٩	٤	شق	شاق
٩	٤	وعسء	وعساء
١٠	٢	تهاما	تهامه
١٥	٨	لسبب	بسبب
١٥	٨	مكرس	مكوس
١٥	٨	لفرضهم	لقرضهم
١٥	١٨	دول	دولة
١٥	١٩	يهمن	تهيمن
١٥	٢٣	والماء	الماء
١٥	٢٣	كان	مكان
١٧	٣	المدينة	المدنية
٢٢	١٥	الى	من
٢٥	٣	عاشت	عاثت
٢٥	١٨	نؤاس	ذى نؤاس
٢٦	١٧	واليمن	وزعامة اليمن
٣١	٢	مؤوى	مأوى
٣١	٢	شلىب	شعب
٣١	١٥	نباؤها	بنائها
٣١	١٦	بناؤها	بنائها
٣١	٢١	تجلات للاسر	تجلات بلاسر

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥	١١	قياذ	قباذ
٣٥	١٢	قياذ	قباذ
٣٥	٢٠	اضرط	اضطر
٣٨	١١	لوطنها	بوطنها
٣٩	١٢	تبنوخ	وتنوخ
٤٠	١٧	ذبذبحهم	بذبحهن
٤٠	٢٥	قياذ	تحذف هذه الكلمة
٤٠	٢٤	عمر	عمرو
٤١	٢١	نصر وكان	نصروا ، كان
٤٢	٤	أهل	أمر
٤٢	١٠	ادبى	أدى
٤٣	١	الدوسر	الدواسر
٤٣	١٥	المسيح	للمسيح
٤٥	١٧	اقد	وقد
٤٧	٢٢	دروا	در
٤٧	٢٤	ذكروا	ذكر
٤٨	١٥	عريدة	عربدة
٥٥	١٩	العدل	العد
٥٦	٢١	تسعد	تساعد
٨٠	١٠	هنحا	هذا
٩٦	٢	ويهود	يهود
١٠٦	١	بمسبرهع	بمسيرهم

٣١/١٠٠٠/١٩٦٩